مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني تصدر عن
قسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٥٥/ السنة السادسة / ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

وَالقُرآنِ المَجيدِ

قال الإمام الحسين عليه السلام
مستمهلاً القوم ليلة عاشوراء:
إنَّ الله عزّ وجلّ يعلم أنّي
أحبُّ الصلاة له، وتلاوة
كتابه، وكثرة الدعاء
والاستغفار..

قسم الشؤون الفكرية والإعلام
العتبة الكاظمية المقدسة
مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني
العدد ٥٥- السنة السادسة
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

١٦

٨ كربلاء والقرآن
٢٢ شريك القرآن
٢٨ الإمام الحسين عليه السلام مرآة الآيات القرآنية
٣٠ المرأة والوحي الإلهي في القرآن
٣٢ أهم الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان
٣٨ علم التجويد ظهوره وتدوينه

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
الشيخ نجم عبد الرضا

السلامة الفكرية
الشيخ عماد الكاظمي

التدقيق اللغوي
مهدي جناح الكاظمي

التصميم والإخراج الفني
عبدالله جاسم محمد

كلمة العدد

ونفسٍ وما سوَّاها

هناك نوعان من الغذاء .. أحدهما مادي والآخر معنوي، فعندما يتأمّل أحدنا حياة الناس يجد أنَّ أكثرهم منهمك في تأمين قوت الأجساد من طعام وشراب وجني أموال وما شابه ذلك، غافلين عن كلّ ما مِن شأنه أنْ يغذّي أرواحهم ويقوّي نفوسهم، وقد يُخرج بعضُهم همَّ الغذاء الروحي والمعنوي من قاموس حياته نهائيّاً ولا يبالي إنْ تعرض دينه وخُلُقه للإهمال والهجران؛ لأنّ الدنيا أصبحت أكبر همّه، وهذا ما حذّرنا منه الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: (مَن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه، جعل الله تعالى الفقر بين عينيه، وشتّت أمره، ولم ينل من الدنيا إلّا ما قسم الله له، ومَن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه، جعل الله الغنى في قلبه، وجمع له أمره)؛ لذا فلا بدّ مِن أنْ يتنبّه الإنسان إلى همّ الآخرة، ولا يتم ذلك إلّا بالإصرار على تهذيب النفس.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾، وهي إشارة إلى تهذيب النفس وأهميّة الأخلاق، حيث يشير قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ إلى الحجّة الباطنيّة والظاهرية كما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: (يا هشام إنَّ لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول)؛ لأنَّ الإنسان بفطرته يُدرك الحسن والقبيح والحق من الباطل وإنْ اشتبه عليه أمر فالأنبياء والأئمة موجودون، وقد أكّد النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين على أهمية حُسن الخُلُق مبينين عظيم فضله يوم الحساب، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل و إنه لضعيف العبادة)، وعنه صلى الله عليه وآله قال: (إنّ أثقل ما يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خُلُقٌ حسن)، ومن وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام: (ألا أعلّمك خصالاً أربع إنْ أنت حفظتهنّ نلت بهنّ النجاة، وإن أنت ضيّعتهنّ فاتك الداران؟ يا بني، لا غنى أكبر من العقل، ولا فقر مثل الجهل، ولا وحشة أشد من العُجب، ولا عيش ألذ من حُسن الخلق).

جلال علي محمد

علوم القرآن الكريم
في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي قدس سره
الإنزال والتنزيل
-القسم الثاني-

أوردنا في العدد السابق القسم الأول من هذا الموضوع الاحتمال الأول والذي لخصه المفسر (قد) بأن ظاهرة نزول القرآن الكريم تدريجياً في مجموع مدة الدعوة وهي ٢٣ سنة ونورد في هذا العدد الاحتمال الثاني وهو:

وهذا الاحتمال الثاني هو اللائح من الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1]، فإن هذا الإحكام مقابل التفصيل، والتفصيل هو جعله فصلاً فصلاً وقطعة قطعة، فالإحكام كونه بحيث لا يتفصل فيه جزء من جزء، ولا يتميز بعض من بعض، لرجوعه إلى معنى واحد لا أجزاء و لا فصول فيه، والآية ناطقة بأنَّ هذا التفصيل المشاهد في القرآن إنما طرأ عليه بعد كونه محكمًا غير مفصل. وأوضح منه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾- إلى أن قال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[3] فإنَّ الآيات الشريفة وخاصة ما في سورة يونس ظاهرة الدلالة على أنَّ التفصيل أمر طارئ على الكتاب فنفس الكتاب شيء والتفصيل الذي يعرضه شيء آخر، وأنهم إنما كذبوا بالتفصيل من الكتاب لكونهم ناسين لشيء يؤول إليه هذا التفصيل وغافلين عنه، وسيظهر لهم يوم القيامة ويضطرون إلى علمه فلا ينفعهم الندم ولات حين مناص، وفيها إشعار بأنَّ أصل الكتاب تأويل تفصيل الكتاب، وأوضح منه قوله تعالى: ﴿حم وَالْكِتابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[4] فإنه ظاهر في أنَّ هناك كتابًا مبينًا عرض عليه جعله مقروًا عربيًا، وإنما ألبس لباس القراءة والعربية ليعقله الناس وإلا فإنه - وهو في أم الكتاب - عند الله، علي لا يصعد إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل وفصل. وفي الآية تعريف للكتاب المبين وأنه أصل القرآن العربي المبين، وفي هذا المساق أيضا قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[5]، فإنه ظاهر في أن للقرآن موقعًا هو في الكتاب المكنون لا يمسه هناك أحد إلا المطهرون من عباد الله وأنَّ التنزيل بعده، وأما قبل التنزيل فله موقع في كتاب مكنون عن الأغيار وهو الذي عبر عنه في آيات الزخرف، بأم الكتاب، وفي سورة البروج، باللوح المحفوظ، حيث قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾، وهذا اللوح إنما كان محفوظا لحفظه من ورود التغير عليه، ومن المعلوم أنَّ القرآن المنزل تدريجًا لا يخلو عن ناسخ ومنسوخ وعن التدريج الذي هو نحو من التبدل، فالكتاب المبين الذي هو أصل القرآن وحكمه الخالي عن التفصيل أمر وراء هذا المنزل، وإنما هذا بمنزلة اللباس لذلك. ثم إنَّ هذا المعنى أعني: كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة إلى الكتاب المبين- ونحن نسميه بحقيقة الكتاب- بمنزلة اللباس من المتلبس وبمنزلة المثال من الحقيقة وبمنزلة المثل من الغرض المقصود بالكلام هو المصحح لأن يطلق القرآن أحيانًا على أصل الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[6]، إلى غير ذلك وهذا الذي ذكرنا هو الموجب لأن يحمل قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، على إنزال حقيقة الكتاب والكتاب المبين إلى قلب رسول الله ﷺ دفعة كما أنزل القرآن المفصل على قلبه تدريجا في مدة الدعوة النبوية. وهذا هو الذي يلوح من نحو قوله تعالى: ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ﴾[8]، فإنَّ الآيات ظاهرة في أن رسول الله ﷺ كان له علم بما سينزل عليه فنهي عن الاستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحي، وبالجملة فإنَّ المتدبر في الآيات القرآنية لا يجد مناصًا عن الاعتراف بدلالتها: على كون هذا القرآن المنزل على النبي تدريجًا متكئًا على حقيقة متعالية عن أن تدركها أبصار العقول العامة أو تناولها أيدي الأفكار المتلوثة بألواث الهوسات وقذارات المادة، وأنَّ تلك الحقيقة أنزلت على النبي إنزالاً فعلمه الله بذلك حقيقة ما عناه بكتابه، ... فهذا ما يهدي إليه التدبر ويدل عليه الآيات، نعم أرباب الحديث، والغالب من المتكلمين والحسّيين من باحثي هذا العصر لما أنكروا أصالة ما وراء المادة المحسوسة اضطروا إلى حمل هذه الآيات ونظائرها كالدالة على كون القرآن هدى ورحمة ونورًا وروحًا ومواقع النجوم وكتابًا مبينًا، وفي لوح محفوظ، ونازلاً من عند الله، وفي صحف مطهرة إلى غير ذلك من الحقائق على أقسام الاستعارة والمجاز فعاد بذلك القرآن شعرًا منثورًا.

المصدر: الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٩.

١- سورة هود ،الآية: ١.
٢- سورة الأعراف ،الآية: ٥٣.
٣- سورة يونس ،الآية: ٣٩.
٤- سورة الزخرف ،الآية: ٤.
٥- سورة الواقعة ،الآية: ٨٠.
٦- سورة البروج ،الآية: ٢٢.
٧- سورة طه ،الآية: ١١٤.
٨- سورة القيامة ،الآية: ١٩.

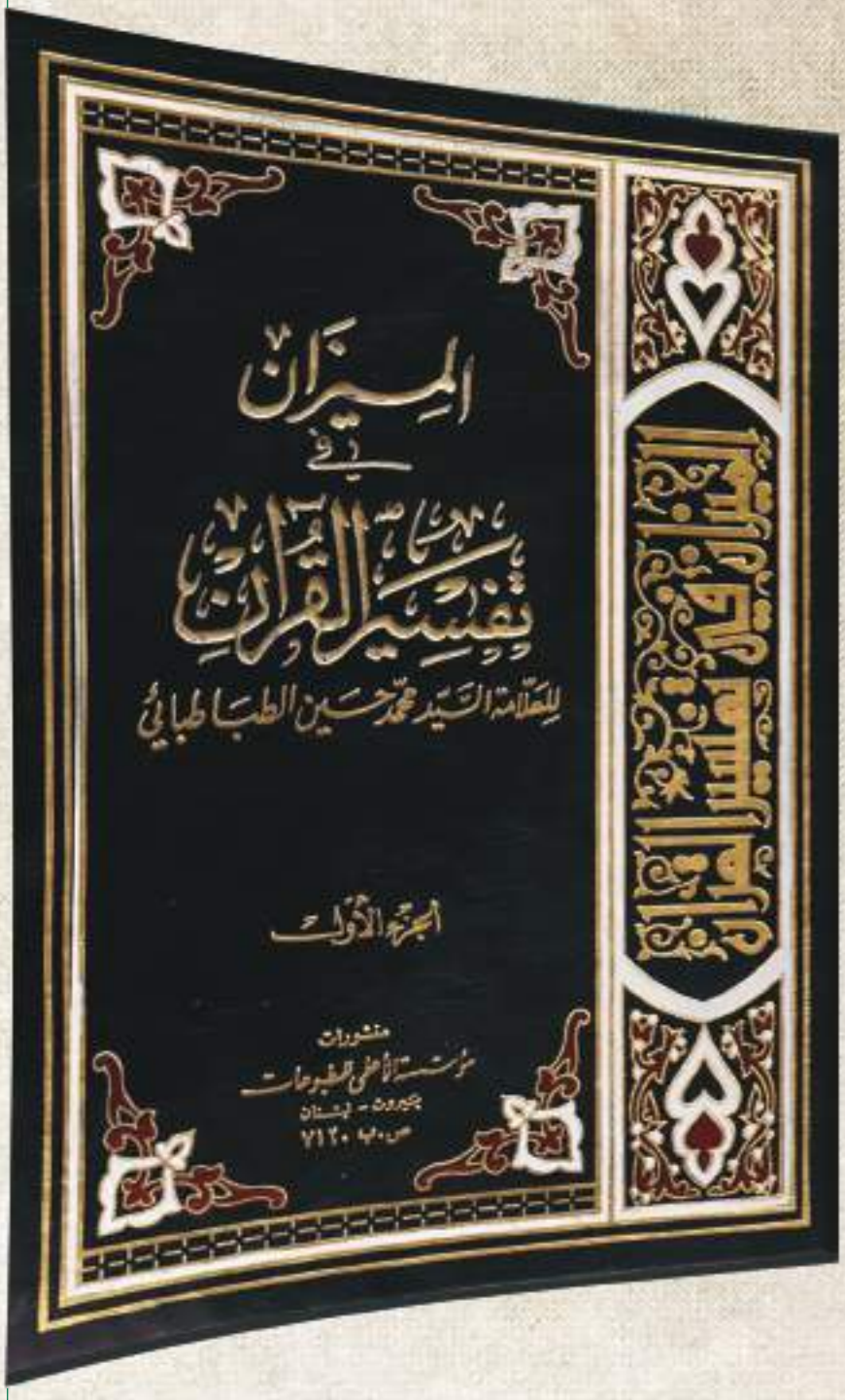
الميزان
في
تفسير القرآن
للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي
الجزء الأول
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء

بُعِثَ النبي محمد ﷺ حاملاً مِشْعل الرسالة الإسلامية نوراً لجميع الإنسانية، داعياً الناس إلى توحيد الله والتمسك بالأخلاق والفضائل وحينذاك كان الشعر ديوان العرب.

فانْشدَّ ذهول الكفار لهذا الخطب الجلل، فَهبّوا يتمرسون ألفاظ القرآن ويتحسَّسون معانيه وصوره وأحكامه، ويتعمّقون في مغازيه وأساليبه البيانية الرفيعة والوحدة الموضوعية فيه، فرماه البعض بالطعون ضلالاً وخيبة، ووصفوه بالشعر لتحويل أفكار المؤمنين عنه، فأخذت الهموم بالنهوض وتحركت الخواطر للجهاد في سبيل رَدَّ كيد الأعداء، ولمّا كنا في صَدَد تبيان موقف القرآن الكريم من الشعر، فلا بد من العودة قليلاً إلى ما ذكرناه، (الشعر ديوان العرب)، ونعترف بأن الشعر إنما هو البديل الواضح لما مرَّ على العرب من أحوال اجتماعية وثقافية وأدبية وما عانوه من ويلات الأيام الطويلة وما كان حولها من قصص، فهو صورة عاكسة لأحوال العرب في العصور القديمة، وقد قال عنه الرسول الكريم ﷺ: (إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً)[1]، والرسول هنا قد أبعد فنون وأغراض الشعر المنحرفة[2] عن سُنَنِ الحق كالمدح الباطل والاستجداء والهجاء.

وهنا يثور سؤال واعتراض: كيف تكون للشعر مكانته الكبيرة هذه، ويكون له هذا الشأن لدى الرسول ﷺ والخلفاء من بعده، كيف يكون ذلك ونحن نقرأ في القرآن الكريم آيات تنفّر من الشعر وتستهجنه.

وللرد على ذلك سنأخذ بمنهج واضح قائم على أساس إيراد الآية وبيان حكمها وموقفها من الشعر والشعراء.

١- سورة الشعراء

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[3].

الجواب: إن هذه الآيات قد نزلت في شعراء المشركين، أمثال عبد الله بن الزبعرى، وأبي عزه الجمحي، وأمية بن أبي الصلت، وممن كان شعرهم قائماً على الهجاء المقذع والضلال.

وهؤلاء الشعراء الذين وصفهم القرآن الكريم كانوا أهل غواية، لذلك يتأسّى بهم الغاوون من أمثالهم وأتباعهم، وتشير الآيات إلى توجّه نحو أولئك الذين يهيمون في أودية الخيال الكاذب واختطوا لأنفسهم طريق الشعر الغزلي المكشوف القاضي بتشريح الأعراض وهتكها، والذين نصبوا أنفسهم شعراء للفتن وأثارتها بالهجاء الفاحش، متخذين من المدح الباطل لمن لا يستحقه[4] طريقًا لشاعريتهم.

ويرد (ابن رشيق القيرواني) في (العمدة) على الذين يفهمون من الآيات الشريفة السابقة بأنها تشين أمر الشعر كله، فيقول: (لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله ﷺ بالهجاء، ومسّوهُ بالأذى، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك)[5].

أما شعراء الرسول ﷺ الذين انتصروا له وردوا على المشركين، فأثابهم على الشعر وأمرهم به وشجّعهم عليه، ومن شعراء الرسول ﷺ: (حسان ابن ثابت الأنصاري، كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحه).

أما الشعراء المشركون الذين وصفتهم الآيات بالكفر[6]، فهم الذين غلب على قلوبهم الشعر وملك أسماعهم وشغلهم عن الدين ومنعهم من إقامة فروضه، فهذا النوع من الشعر الذي يغوي النفوس مُحرّم، لأنه كالشيطان.

١- أدب الدنيا والدين، الماوردي ص١٧٨. وأنظر أيضاً: البيان والتبيين. الجاحظ، ط٢، ج١، ص٣٤٩.

٢- الوسيط في الأدب العربي، أحمد الاسكندري ومصطفى غياني، ط٥ ص١٣٩.

٣- سورة الشعراء، الآيات (٢٢٤-٢٢٧).

٤- تفسير القرآن، القاضي البيضاوي، ص٤٩٨.

٥- العمدة، ابن رشيق القيرواني، ج١ ص١٢.

٦- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ج١، ص١٩٣.

الأستاذ فاروق محمود الحبوبي

أما من يتخذ الشعر أدباً ومروءة وفضيلة، فلا جناح عليه، وجدير بنا أن نذكر بأنّ الإمام علياً عليه السلام قد قال الشعر[٧]، ونسب إليه ديوان شعر[٨]، ولسنا في مجال تحقيقه وإسناده.

٢- سورة الأنبياء

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾[٩].

الجواب: لقد افترى المشركون على الرسول محمد صلى الله عليه وآله من أنه شاعر وما كان دستوره القرآن إلا افتراءً من عنده، لذلك وردت هذه الآية لتنفي هذا الافتراء على الرسول صلى الله عليه وآله.

٣- سورة (يس)

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[١٠].

الجواب: إنّ الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن شاعراً وما ينبغي له ذلك ولا يصح، فما أتى به من آيات بينات فهو من رب العالمين جل شأنه، وإنه ذكر من الله للعباد.

٤- سورة الصافات

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١١].

الجواب: إن المشركين عندما قيل لهم بوحدانية الله تعالى كانوا يستكبرون، وحينئذ يتصورون أن آلهتهم لا يمكن تركها لشاعر مجنون –وحاشا الرسول أن يكون كذلك-، فهو رسول جاء بالحق من رب العالمين حيث الشريعة السمحاء البالغة في الحجة والمحاجّة، وهو الرسول الأمي الذي أرسله الله تعالى ببيانه القرآني الخارق لنواميس الطبيعة، حين انتظمت الفصاحة وكانت البلاغة دليلاً للنبوة وحجة على الناس وإعجازاً.

٥- سورة الطور

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[١٢].

الجواب: الآية الأولى تبرّىء الرسول صلى الله عليه وآله من كونه كاهنًا أو مجنوناً، والآية الثانية تصف شعور المشركين الذين آمرتهم أحلامهم طغياناً وكفراً، وأخذوا يتربصون بالرسول صلى الله عليه وآله ريب المنون، ويعتبرونه شاعراً كشعرائهم أو كاهنًا ككهانهم، فجاءت الآيتان تنفيان عنه ذلك.

٦- سورة الحاقة

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٣].

وهذه كسابقتها تؤكد أن الآيات التي جاء بها الرسول محمد صلى الله عليه وآله إنما هي من قول القرآن الكريم ولم تكن بقول شاعر- كما يتصور المشركون-، ولا يقول كاهن كما يزعمون، بل هو تنزيل من الله سبحانه تقدست أسماؤه.

إنَّ البيان يتخاذل أمام تجلية حسنة، وحسبه أن يعترف أمراء البيان وأرباب الفصاحة بالحصْر دونه، وألعَيّ أمامه[١٤]، وجعله الله منثوراً ليكون أظهر برهاناً، حيث تحدى به جميع الناس بأن يعملوا مثله، فأعجزهم ذلك، قال عز شأنه ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[١٥])[١٦].

٧- العمدة، القيرواني، ج١، ص١٤.
٨- تاريخ الآداب العربية، كارلو نالينو، ص١١٦.
٩- سورة الأنبياء، الآية ٥.
١٠- سورة يس، الآية ٦٩.
١١- سورة الصافات: الآيتان ٣٦-٣٧.
١٢- سورة الطور، الآيتان ٢٩-٣٠.
١٣- سورة الحاقة: الآيات: ٤٠-٤٣.
١٤- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، ص٢٣.
١٥- سورة الإسراء ،الآية:٨٨.
١٦- مجلة البلاغ، العدد الخامس، السنة السابعة ،١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م .

كربلاء والقرآن

ترجمة: رياض عبد الغني الحسن

البكاء علامة الحبّ

لقد قضى القرآن الكريم أن أجر النبي الكريم ﷺ على جهوده التي بذلها هو المودة لأهل بيته. يقول القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

لم يكن رد الجميل على التعاليم النبوية سوى المودة لأهل البيت عليهم السلام، والتعاليم التي وصلتنا تشمل أصول الدين وفروعه والأخلاق والعبادة والسلوك الاجتماعي.. الخ. وعليه فمن يقبل بدين الإسلام الشريف، ويرغب باتباع مقرراته وينظم سلوكه بطريقة مقبولة، فمن الضروري جداً أن ينوّر قلبه بحب أهل البيت عليهم السلام.

يؤشر القرآن الكريم بعضاً من علامات المودة، وهي:

١- الطاعة.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] أحد مصاديق المودة هو الطاعة. فإذا وجدت المودة وجدت الطاعة بالشكل والكثافة الموجودة في المودة نفسها.

٢- الجمالية في القلب.

لا يجري التعبير عن المودة والحب بالكلمات المجردة. فذلك أمر مغروس في القلب، ومن خلال الحب يصحو القلب. ﴿.... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[3] فمن يحبّه الله ويقرّبه إليه ينعم عليه بنعمتين: نعمة الإيمان، ويجعل قلبه متعلقاً به، ويكون هذا التعلّق سبباً في امتثاله للقوانين الإلهية. والنعمة الثانية أن يخلق في قلبه رادعاً عن ارتكاب المعاصي والظلم والكفر. وهذا يعني أن حب الله له مظهران: النزوع إلى الإيمان، والنزوع عن الكفر والظلم وارتكاب المعاصي.

٣- المشاركة في الأحزان والأفراح.

يصف القرآن الكريم المنافقين، وهو في معرض حديثه عن معركة تبوك كالآتي: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[4]. لنلتفت الآن إلى الآية التالية ونلاحظ سلوك المنافقين. عندما تتضح أمامنا شخصية المنافق، تتجلى أمامنا علامات المؤمنين الحقيقيين.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ من ذلك، يتضح أن الفرح لمصاب المؤمنين والحزن لفرحهم هما علامتان للمنافق. ويتضح أيضاً أن الحزن لحزنهم ومشاركتهم أفراحهم هما علامتان للمؤمن.إن البكاء على الإمام الحسين عليه السلام تجسيد حي لحبنا له. فمتى ما كان الشخص يحمل في قلبه حب أهل البيت عليهم السلام ويسمع مآسيهم، فسيحزن بالتأكيد. وتقول الرواية: (رحم الله شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا)[5].

المضطهدون من نجران

يأتي البكاء عقب رواية الظلامات التي يتقطع لها القلب والممارسات الوحشية التي عومل بها أهل البيت عليهم السلام، وما تبع ذلك من أحزان. والأمر يتضمن أيضاً التعريف بمن اقترف الظلم بحق أهل البيت عليهم السلام وعرّضهم لتلك المآسي. لقد ذكر القرآن الكريم في مختلف المواضع تاريخ المؤمنين الذين كانوا ضحايا الاضطهاد وحكى قصة شهادتهم، وهو مما يشير ضمناً إلى أن سرد قصص استشهاد من تعرض للظلم ممارسة إلهية معروفة في القرآن الكريم. وبما أن هذه القصص منتشرة في القرآن الكريم وأن هناك توصية بتلاوته يومياً، فإن قراءة هذه القصص سيتكرر على الدوام بشكل يومي.وإذا كان القرآن ليأمر بتلاوة شيء وتذكر الشهداء، فسيكون من الأهمية بمكان تذكر مآسي سيد شباب أهل الجنة، الذي يجري في عروقه دم النبي الكريم محمد المصطفى ﷺ، الذي يسرّ رسول الله ما يسرّه ويحزن رسول الله ما يحزنه. فالدافع إذن للحزن على الحسين هو نفسه في تذكر تلك القصص القرآنية يومياً. ستظل القصص القرآنية في الذاكرة ما دام القرآن الكريم موجوداً. وعلى تلك الشاكلة سيبقى النوح على الإمام الحسين عليه السلام قائماً إلى نهاية الزمان. وكما إن تلاوة القرآن العظيم سبب من أسباب نيل الأجر وغفران الذنب، كذلك فإن البكاء على الإمام الحسين عليه السلام يفضي بنا إلى أجر عظيم وسبيل ناجعة في غفران ذنوبنا.من القصص التي ذكر فيها القرآن الكريم من اضطهد واستشهد في نهاية المطاف في سبيله تعالى، في سورة البروج، حيث يذكّرنا بما وقع لمجموعة من المؤمنين أحرقهم الحاكم وهم أحياء، لأنهم لم يكونوا على استعداد للتخلي عن

١- سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٢- سورة آل عمران، الآية:٣١.

٣- سورة الحجرات، الآية:٧.

٤- سورة التوبة، الآيات: ٤٧-٤٩.

٥- شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري، ج١، ص٣، والرواية عن الإمام الصادق عليه السلام.

عقيدتهم في التوحيد.

نزلت سورة البروج في مكة، حيث كان المؤمنون يتعرضون لأنواع الوحشية في المعاملة، فكل من كان يدخل في الإسلام يتعرض من فوره إلى القمع على أيدي الكفّار، وقد كان قصّ تلك الأحداث في هذه السورة يشجع المؤمنين ويعطيهم درساً في الثبات على عقيدتهم عند مواجهة الصعوبات. في هذه السورة، يُقسم الله تعالى بأربعة أشياء قبل قصّ الحدث. وهذا بحدّ ذاته يؤكد أهمية الحدث ويبين المغزى من رواية المصاعب التي واجهها المؤمنون. يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٦].

٦- سورة البروج، الآيات:١-٨.

نهاية الظالمين

في هذه السورة، حيث يروي لنا الله تعالى القصة المأساوية للضحايا، يصف أيضاً النهاية الأليمة للظالمين. في البداية بيّن هذه النقاط: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٧]، بعد ذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[٨]. هذا يعني بأن الحكام والطغاة يجب ألا يتوهموا أن ملكهم دائم إلى ما لا نهاية، وأن بوسعهم أن يفعلوا ما يحلو لهم. فكل شيء داخل في مملكة الله وهو شاهد على أفعالهم، واذا لم يتوبوا ويندموا على أفعالهم ويسألوا المغفرة فسيكون مصيرهم إلى نار جهنم.

بعد هذا، فإن الحديث عن الحرق بالنار يذكرنا بأنه كما ألقى هؤلاء الظلمة المؤمنين في النار، فإنهم سيلقون في نار جهنم أيضاً. والفرق بين الموقفين أن ألم المؤمن من الحرق ينتهي باستشهاده، أما عذاب جهنم فهو باق لا يزول.

أجر المظلوم

في هذه السورة، لم يكتفِ الله تعالى بوصف العاقبة الأليمة للظالمين، بل قدّم بشارات بالأجر تنتظر ضحايا الظلم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

في الآية السابقة، لم يأت الله على ذكر الجنة فحسب، بل سمّاها (الفوز الكبير). وهذا نتيجة الصبر على المصاعب التي يواجهها المؤمن في سبيل الله. وليس هدف القرآن الكريم من رواية هذه القصة هو السرد التاريخي، بل الهدف بعد قراءتها يكون إحداث تعاطف مع المظلومين وشجب عمل الظالمين.

٧- سورة البروج، الآية: ٩.

٨- سورة البروج، الآية: ١٠.

المصدر: http://haidry.weebly.com/karbala-and-holy-quran.html

الإمام الجواد عليه السلام

وآثاره في تفسير القرآن الكريم

-٢-

الشيخ عماد الكاظمي

تحدثنا في الحلقة السابقة عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]، وتم بيان ما يتعلق بها من جوانبها المختلفة، ونحاول في هذه الحلقة أنْ نسلط الضوء على موضوع مهم جدًّا وهو (الربا)، وما فيه من آثار سلبية على الفرد والمجتمع، ومحاولة دراسة الآية الكريمة بإيجاز ضمن الرواية التفسيرية للإمام محمد الجواد عليه السلام.

- الآية الثانية/ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢].

١- سورة البقرة: الآية ١٧٣.

٢- سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

* روي عن أحمد بن محمد بن عيسى في نوادره، عن أبيه قال: ((إِنَّ رَجُلاً أَرْبَى دَهْرًا مِنَ الدَّهْرِ، فَخَرَجَ قَاصِدًا أَبَا جَعْفَرٍ الْجَوَادَ عليه السلام. فَقَالَ عليه السلام لَهُ: مَخْرَجُكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ يَقُوْلُ اللهُ: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾، وَالْمَوْعِظَةُ هِيَ التَّوْبَةُ فَجَهْلُهُ بِتَحْرِيْمِهِ ثُمَّ مَعْرِفَتُهُ بِهِ، فَمَا مَضَى فَحَلَالٌ، وَمَا بَقِيَ فَلْيَتَحَفَّظْ))[٣].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبين مسألة مهمة من المسائل التي آستعرضتها الشريعة الإسلامية المقدسة، وبينت أحكامها وحدودها وآثارها، فالآية المباركة في مقام بيان ما يتعلق بالربا وحرمة الأموال التي يحصل عليها الإنسان وهو عالم بذلك من جانب، وما يتعلق بجهله من جانب آخر، ولأجل أنْ نكون على بينة مما ورد في الرواية الشريفة وما تضمنته من أحكام نحاول بيان موضوعات ثلاثة بإيجاز:

الأول: تعريف الربا وأنواعه.

الثاني: أقوال المفسرين.

الثالث: آيات الأحكام.

الأول: تعريف الربا وأنواعه

إنَّ تعريف الربا لغة يطلق عمومًا على الزيادة، وهذا ما ذكره اللغويون في معاجمهم، قال آبن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م): ((الرَّاءُ وَالْبَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ وَكَذَلِكَ الْمَهْمُوْزُ مِنْهُ يَدُلُّ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ وَالْعُلُوُّ.

٣- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي ١٣١/١٨ باب (حكم من أكل الربا بجهالة أو غيرها ثم تاب أو ورث مالاً فيه ربا) الحديث١٠.

تَقُوْلُ مِنْ ذَلِكَ: رَبَا الشَّيْءُ يَرْبُوْ إِذَا زَادَ. وَرَبَا الرَّابِيَةَ يَرْبُوْهَا إِذَا عَلَاهَا))[4]، وقال آبن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م): ((رَبَا الشَّيْءُ يَرْبُوْ رُبُوًّا وَرِبَاءً زَادَ وَنَمَا، وَأَرْبَيْتُهُ نَمَّيْتُهُ .... وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِيْ الْحَدِيْثِ، وَالْأَصْلُ فِيْهِ الزِّيَادَةُ مِنْ رَبَا الْمَالُ إِذَا زَادَ وَآرْتَفَعَ، وَالْاسْمُ الرِّبَا مَقْصُوْرٌ))[5]. وهذا المعنى هو الصريح لهذا اللفظ عند كُلّ مَنْ عَرَّفه وذكر بيانه وآشتقاقاته، وقد ذكروا كذلك آنطباقه على الربا في الاصطلاح؛ لاشتهاره به.

وتعريفه آصطلاحًا فهو يشمل القِسمين المعهودين في الشريعة المقدسة، وقد ذكر الفقهاء عامة تعريفه وبيان أقسامه معًا في الغالب، قال الشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ/١٥٥٨م): ((بَيْعُ أَحَدِ الْمُتَمَاثِلَيْنِ بِالْآخَرِ، مَعَ زِيَادَةٍ فِيْ أَحَدِهِمَا حَقِيْقَةً أَوْ حُكْمًا، أَوِ آقْتِرَاضُ أَحَدِهِمَا مَعَ الزِّيَادَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُوْنَا مُقَدَّرَيْنِ بِهِمَا))[6]، وقال السيد الخوئي (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م) في تعريفه وبيان أقسامه: ((وَهُوَ قِسْمَانِ الْأَوَّلُ: مَا يَكُوْنُ فِيْ الْمُعَامَلَةِ. الثَّانِيْ: مَا يَكُوْنُ فِيْ الْقَرْضِ .... أَمَّا الْأَوَّلُ: فَهُوَ بَيْعُ أَحَدِ الْمِثْلَيْنِ بِالْآخَرِ مَعَ زِيَادَةٍ عَيْنِيَّةٍ فِيْ أَحَدِهِمَا))[7].

وقد تبين مما تقدم أنَّ الربا يقسم على قسمين معينين أحدهما في البيع والآخر في القرض، وهذا ما أكده الفقهاء في مؤلفاتهم، قال المحقق الحلي (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م): ((وَهُوَ يَثْبُتُ فِيْ الْبَيْعِ مَعَ وَصْفَيْنِ، الْجِنْسِيَّةِ وَالْكَيْلِ أَوِ الْوَزْنِ، وَفِيْ الْقَرْضِ مَعَ آشْتِرَاطِ النَّفْعِ))[8].

الثاني: أقوال المفسرين

إنَّ المفسرين قد ذكروا ما يتعلق بهذه الآية المباركة من أقوال بتفصيل وبيان، أذكر منها إجمالاً:

١- قال الطبري (ت٣١٠هـ/٩٩٢م) فيما يتعلق بالموعظة والتوبة: ((يَعْنِيْ بِـ"الْمَوْعِظَةِ" التَّذْكِيْرَ وَالتَّخْوِيْفَ الَّذِيْ ذَكَّرَهُمْ وَخَوَّفَهُمْ بِهِ فِيْ آيِ الْقُرْآنِ، وَأَوْعَدَهُمْ عَلَى أَكْلِهِمُ الرِّبَا مِنَ الْعِقَابِ، يَقُوْلُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ عَنْ أَكْلِ الرِّبَا وَآرْتَدَعَ عَنِ الْعَمَلِ بِهِ وَآنْزَجَرَ عَنْهُ، ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ يَعْنِيْ مَا أَكَلَ وَأَخَذَ فَمَضَى قَبْلَ مَجِيءِ الْمَوْعِظَةِ وَالتَّحْرِيْمِ مِنْ رَبِّهِ فِيْ ذَلِكَ، ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ﴾ يَعْنِيْ وَأَمْرُ آكِلِهِ بَعْدَ مَجِيْئِهِ الْمَوْعِظَةَ مِنْ رَبِّهِ وَالتَّحْرِيْمَ، وَبَعْدَ آنْتِهَاءِ آكِلِهِ عَنْ أَكْلِهِ، إِلَى اللهِ فِيْ عِصْمَتِهِ وَتَوْفِيْقِهِ))[9].

إنَّ ما تقدم من تفسير هو المعنى الظاهر للآية المباركة، والذي تؤيده روايات متعددة، ولم يذكر الطبري أقوالاً مختلفة في ذلك، فالأغلب هو على ما تقدم من قول.

٢- قال الزمخشري (ت٥٣٧هـ/١١٤٣م): ((﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ فَمَنْ بَلَغَهُ وَعْظٌ مِنَ اللهِ وَزَجْرٌ بِالنَّهْيِ عَنِ الرِّبَا ﴿فَانْتَهَى﴾ فَتَبِعَ النَّهْيَ وَآمْتَنَعَ ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ فَلَا يُؤْخَذُ بِمَا مَضَى مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ أُخِذَ قَبْلَ نُزُوْلِ التَّحْرِيْمِ ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ﴾ يُحْكَمُ فِيْ شَأْنِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ مِنْ أَمْرِهِ إِلَيْكُمْ شَيْءٌ فَلَا تُطَالِبُوْهُ بِهِ))[10].

إنَّ هذا القول من الزمخشري قائم على تفسير النص القرآني بما يظهر من ألفاظه الصريحة الظاهرة على عدم المؤاخذة على ما مضى من الربا قبل التوبة، وأنَّ الأمر في ذلك إلى الله يوم القيامة.

٢- قال الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ((﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مَعْنَاهُ فَمَنْ جَاءَهُ زَجْرٌ وَنَهْيٌ وَتَذْكِيْرٌ مِنْ رَبِّهِ، ﴿فَانْتَهَى﴾ أَيْ فَانْزَجَرَ وَتَذَكَّرَ وَآعْتَبَرَ، ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ مَعْنَاهُ فَلَهُ مَا أَخَذَ وَأَكَلَ مِنَ الرِّبَا قَبْلَ النَّهْيِ لَا يَلْزَمُهُ رَدُّهُ، قَالَ الْبَاقِرُ عليه السلام: ((مَنْ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَتَابَ مِمَّا كَانَ عَمِلَهُ فِيْ الْجَاهِلِيَّةِ وَضَعَ اللهُ عَنْهُ مَا سَلَفَ))، وَقَالَ السُّدِيُّ مَعْنَاهُ لَهُ مَا أَكَلَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ رَدُّ مَا سَلَفَ، فَأَمَّا مَا لَمْ يُقْبَضْ بَعْدُ فَلَا يَجُوْزُ لَهُ أَخْذُهُ وَلَهُ رَأْسُ الْمَالِ .... ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ﴾ مَعْنَاهُ وَأَمْرُهُ بَعْدَ مَجِيءِ الْمَوْعِظَةِ وَالتَّحْرِيْمِ وَالْانْتِهَاءِ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَصَمَهُ عَنْ أَكْلِهِ وَثَبَّتَهُ فِيْ آنْتِهَائِهِ عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ خَذَلَهُ. وَقِيْلَ: مَعْنَاهُ وَأَمْرُهُ فِيْ حُكْمِ الْآخِرَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى إِنْ لَمْ يَتُبْ وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَحِلٍّ لَهُ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِعَدْلِهِ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ بِفَضْلِهِ. وَقِيْلَ: مَعْنَاهُ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ فَلَا يُؤَاخِذُهُ بِمَا سَلَفَ مِنَ الرِّبَا))[11].

إنَّ جميع الأقوال التي ذكرها الشيخ الطبرسي إنما تؤكد ما ورد في رواية الإمام الجواد عليه السلام في أنَّ التوبة والانتهاء عن المعاملة بالربا لا يوجب على صاحبه أنْ يردَّ ما أخذه قبل ذلك، من دون الإشارة أو البيان إلى تفصيل ذلك من حيث العلم والجهل وغيرهما كما سيأتي بيانه عند العلماء الآخرين.

٣- قال السيد الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م): ((﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ﴾ تَفْرِيْعٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ﴾ إلخ، وَالْكَلَامُ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِالرِّبَا، فَهُوَ حُكْمٌ كُلِّيٌّ وُضِعَ فِيْ مَوْرِدٍ جُزْئِيّ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَوْنِهِ مِصْدَاقًا مِنْ مَصَادِيْقِهِ يَلْحَقُهُ حُكْمُهُ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ فِيْ أَمْرِ الرِّبَا مَوْعِظَةٌ جَاءَتْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ إلخ فَإِنِ آنْتَهَيْتُمْ فَلَكُمْ مَا سَلَفَ وَأَمْرُكُمْ إِلَى اللهِ. وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ مَجِيءِ الْمَوْعِظَةِ بُلُوْغُ الْحُكْمِ الَّذِيْ شَرَّعَهُ اللهُ تَعَالَى، وَمِنَ الْانْتِهَاءِ التَّوْبَةُ وَتَرْكُ الْفِعْلِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ آنْتِهَاءً عَنْ نَهْيِهِ تَعَالَى، وَمِنْ كَوْنِ مَا سَلَفَ لَهُمْ عَدَمَ آنْعِطَافِ الْحُكْمِ وَشُمُوْلِهِ لِمَا قَبْلَ زَمَانِ بُلُوْغِهِ، وَمِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ﴾ إِنَّهُ لَا يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ الْخَالِدُ الَّذِيْ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ﴾ فَهُمْ مُنْتَفِعُوْنَ فِيْمَا أَسْلَفُوْا بِالتَّخَلُّصِ مِنَ هَذِهِ الْمَهْلَكَةِ، وَيَبْقَى عَلَيْهِمْ: أَنَّ أَمْرَهُمْ إِلَى اللهِ فَرُبَّمَا أَطْلَقَهُمْ فِيْ بَعْضِ الْأَحْكَامِ، وَرُبَّمَا وَضَعَ عَلَيْهِمْ مَا يَتَدَارَكُ بِهِ مَا فَوَّتُوْهُ))[12].

من خلال ما تقدم من أقوال المفسرين يظهر مدى موافقة ذلك مع قول الإمام الجواد عليه السلام في بيان الموعظة التي يستمع إليها الإنسان بعد آرتكابها لتلك المعصية من غير علم بها أو بحرمتها، ولكن الرواية قد ذكرت إجمالاً ما تعلَّق من أموال قبل الموعظة والتوبة بالقول: ((فَمَا مَضَى فَحَلَالٌ))، أما بعض المفسرين فقد ذكروا ما يتعلق بذلك على أقوال مختلفة في بعض الموارد من حيث العفو عنه مطلقًا، أو في الدنيا فقط، وأما في الآخرة فأمره إلى الله، ولكن السيد الطباطبائي (قدس سره) توسَّع في مفهوم الآية عن شمولها للربا خاصة، بل يمكن أنْ ينطبق على الكبائر الأخرى، وإنما آقتضى السياق في الآية أنْ يخصص الربا، فضلاً عن أنَّ هذه المعاصي وإن كان فيها عفو من الله تعالى لمرتكبها ولكن قد تترتب عليها مسائل أخرى يجب عليه أنْ يتداركها، فقال في بيان ذلك: ((وَآعْلَمْ أَنَّ أَمْرَ الْآيَةِ عَجِيْبٌ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ مَعَ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ التَّسْهِيْلِ وَالتَّشْدِيْدِ حُكْمٌ غَيْرُ خَاصٍّ بِالرِّبَا، بَلْ عَامٌّ يَشْمِلُ جَمِيْعَ الْكَبَائِرِ الْمُوْبِقَةِ، وَالْقَوْمُ قَدْ قَصَّرُوْا فِيْ الْبَحْثِ عَنْ مَعْنَاهَا؛ حَيْثُ آقْتَصَرُوْا بِالْبَحْثِ عَنْ مَوْرِدِ الرِّبَا خَاصَّةً مِنْ حَيْثُ الْعَفْوُ عَمَّا سَلَفَ مِنْهُ، وَرُجُوْعُ الْأَمْرِ إِلَى اللهِ فِيْ مَنِ آنْتَهَى، وَخُلُوْدُ الْعَذَابِ

٤- معجم مقاييس اللغة مادة (ربا).
٥- لسان العرب مادة (ربا).
٦- مسالك الإفهام، زين الدين بن علي بن أحمد الشهيد الثاني ٣١٦/٣.
٧- منهاج الصالحين ٥١/٢، وينظر: منهاج الصالحين، السيد علي الحسيني السيستاني ٧٢/٢.
٨- شرائع الإسلام، المحقق الحلي ٢٩٧/٢.
٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤/٦.
١٠- تفسير الكشاف ٣٤٨/١.
١١- مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٦٧/١.
١٢- الميزان في تفسير القرآن ٤١٧/٢.

لِمَنْ عَادَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَجِيءِ الْمَوْعِظَةِ، هَذَا كُلُّهُ مَعَ مَا تَرَاهُ مِنَ الْعُمُومِ فِي الْآيَةِ .... فَالْمَعْنَى أَنَّ مَنِ انْتَهَى عَنْ مَوْعِظَةٍ جَاءَتْهُ فَالَّذِي تَقَدَّمَ مِنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ سَوَاءٌ كَانَ فِي حُقُوقِ اللهِ أَوْ فِي حُقُوقِ النَّاسِ فَإِنَّهُ لَا يُؤَاخَذُ بِعَيْنِهَا، لَكِنَّهُ لَا يُوجِبُ تَخَلُّصَهُ مِنْ تَبِعَاتِهِ أَيْضًا كَمَا تَخَلَّصَ مِنْ أَصْلِهِ مِنْ حَيْثُ صُدُوْرُهُ، بَلْ أَمْرُهُ فِيْهِ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ وَضَعَ فِيْهَا تَبِعَةً كَقَضَاءِ الصَّلَاةِ الْفَائِتَةِ وَالصَّوْمِ الْمُنْقُوْضِ))[13].

هذا ما حاولت بيانه لأقوال المفسرين في الآية المباركة، وقد وردت روايات متعددة تدل على تحريم الربا وعظمة آرتكابه وتحذير المؤمنين من التعامل به قليله وكثيره ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: ((دِرْهَمُ رِبًا أَشَدُّ مِنْ سَبْعِيْنَ زِنْيَةٍ كُلِّهَا بِذَاتِ مَحْرَمٍ))[14]، فضلًا عن بيان آثاره في الدنيا والآخرة، فهو شر المكاسب، وأخبثها، وملعون صاحبه، ومن الكبائر وغيرها[15].

الثالث: آيات الأحكام

قد تبيَّن من خلال ما تقدم من أقوال المفسرين من موافقتهم للرواية التفسرية للإمام الجواد عليه السلام من جوانب متعددة، وقد أفاد العلماء من آية الربا أحكام متعددة، فضلاً عن مناقشتها وبمكن بيان بعض ما يتعلق بالموضوع ببيان بعض أقوالهم في الإفادة منها كون الآية المباركة تعدُّ من آيات الأحكام.

١- قال الشيخ قطب الدين الراوندي (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م): ((أي له ما أكلَ، وليس عليه رَدُّ ما سلف إذا لم يكن علم أنَّه حرام، قال أبو جعفر "عليه السلام": من أدرك الإسلام وتاب مما كان عمله في الجاهلية وضع الله عنه ما سلف، فمن آرتكب ربًا بجهالة ولم يعلم أنَّ ذلك محظور فليستغفر الله في المستقبل، وليس عليه فيما مضى شيء، ومتى علم أنَّ ذلك محرَّم وتمكَّن من عمله فكُلُّ ما يحصل له من ذلك محرَّمٌ عليه ويجب عليه رده إلى صاحبه .... ويحتمل أنْ يكون أراد﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ يعني من الربا المأخوذ دون العقاب الذي آستحقه.... لأنَّ مستحل الربا كافر بالإجماع))[16].

إنَّ هذا القول مطابق لما ورد في الرواية التفسيرية ولما ذكره المفسرون حول في الآية المباركة، فالجاهل بأنَّ ما أخذه كان من الربا لا إثم عليه فيما تقدم؛ لانتفاء العلم بالموضوع، وأما مع العلم فهذا لا يتم، وهو ما كان التحذير والوعيد به.

٢- قال المقداد السيوري (ت٨٢٦هـ/١٤٢٣م): ((لا ريب في أنَّ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا آتَّقُوْا اللهَ وَذَرُوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ صريحتان في أنَّه لا يجب رَدُّ الربا السابق على نزول التحريم، ونحن قد قررنا أنَّهُ يجب رَدُّ الربا مع العلم والجهل، فما وجه الجمع بين الكلامين؟ فنقول: وجه الجمع أنه لا يجب على الكافر رَدُّ ما أخذه حال كفره إلا أنْ يكون عينه موجودة، فإذا أسلم حُرِّمَ عليه أخذ ما بقي له عند معامليه، وأمَّا المسلم فيجب عليه رَدُّ الربا مطلقًا، سواء علم بالتحريم أو لم يعلم على الأصح؛ لأنَّ الموعظة جاءت إليه، وعدم علمه ليس عذرًا لتمكنه من العلم))[17].

إنَّ هذا القول للمقداد (قدس سره) في وجوب الرد مطلقًا بالنسبة للمسلم يخالف ظاهرًا ما عليه النص القرآني والروايات الشريفة التي أكدت عدم الرد، وإنَّ الإسلام لا يوجب ذلك في مقابل الكفر الذي يمنعه، فالذين سألوا الأئمة عليهم السلام عن الآية كانوا من المسلمين ولم يذكروا في جوابهم وجوب الرد قبل التوبة هذا من جانب، والظاهر أنَّه متأثِّرٌ ويذهب إلى ما يراه بعض الأعلام ممن قبله، كالعلامة الحلي وغيره كما سيأتي، ومن جانب آخر فقوله (وعدم علمه ليس عذرًا لتمكنه من العلم) فهو إطلاق لا يمكن الأخذ به، فليس كُلُّ إنسان يمكنه التعلم مطلقًا.

وقد ناقش ذلك وأكَّد ما يذهب إليه في آحتمال الرد من خلال التأمل في الآية المباركة فقال: ((قيل في قوله: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ دلالة على أنَّه لا تجب إعادة الربا مع الجهل بتحريمه، بل يكفي مع ورود العلم الانتهاء وهو التوبة لا غير، وفيه نظر لجواز أنْ يكون المراد به سقوط الإثم بالتوبة، لا سقوط حق الغير؛ لأنه لا يسقطه إلا أداؤه))[18].

٣- قال الشيخ الفاضل الجواد الكاظمي (ت ق١١هـ): ((وعلى هذا ففيها دلالة ظاهرة على أنَّ العفو من الله موجود .... وجميع ما ذكر من الوجوه دالٌّ على ملكية ما سلف قبل النهي، وليس كونه له مشروطًا بالانتهاء، بل عدم العقاب فيما يأتي مشروط به، فلا يرد أنَّ مفهوم الشرط آقتضى أنه إذا لم ينته لم يكن له، فيجب رده على مالكه خصوصًا مع بقاء العين؛ لأنَّ هذا المفهوم غير معتبر إجماعًا، ويمكن توجيه المفهوم بأنَّ المراد أنَّ ما له ما سلف من غير عقاب إذا آتعظ وآنتهى، فلو لم ينته لم يكن له ما سلف سالمًا، بل هو مع العقاب فكأنه ليس له، إذ لا خير فيه مع ثبوت العقاب .... هذا كله إذا فعله متعمدًا، ولو فعله جاهلاً بتحريمه فقد آختلف أصحابنا في وجوب رده على مالكه، فقال الشيخ في النهاية لا يجب رده، وهو الظاهر من آبن بابويه في المقنع، ورواه في من لا يحضره الفقيه، وعلى ذلك جماعة، والأكثر على وجوب رده وإليه ذهب آبن إدريس، وقوَّاه العلامة في المختلف))[19].

إنَّ قول الأكثر على وجوب رده على الرغم من التوبة رأي يقع في مقابل ظاهر الآية والروايات الشريفة، وأقوال المفسرين الذين تقدمت أقوالهم.

ختامًا إنَّ منهج الثقلين في بيان الحكم الشرعي ظاهر، وإنَّ الرواية التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام قد بيَّنت ذلك وأكدته، وهناك روايات متعددة أشارت إلى ذلك، فضلاً عن ظاهر الآية المباركة .. وإلى لقاء قادم.

١٣- الميزان في تفسير القرآن ٤٢٦/١.

١٤- وسائل الشيعة ١١٧/١٨ وقد وردت روايات كثيرة في ذلك للتفصيل ينظر: ١١٧/١٨-١٣٢.

١٥- ينظر: ميزان الحكمة، محمد الريشهري ١٣٩٠/٤-١٣٩٥ باب (الربا).

١٦- فقه القرآن ص٤٧.

١٧- كنز العرفان في فقه القرآن ص٤٠٣.

١٨- ص٤٠٠.

١٩- مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام ج٣ ص٤٢-٤٣.

سورة الشمس

-القسم الثاني-

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾

بعد الأقسام المتعددة ببعض الظواهر الكونية كالشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض والنفس الإنسانية، والقسم بالذات الإلهية ثلاث مرات لأنها من طحت الأرض وبنت السماء وسوت النفس البشرية وألهمها الفجور والتقوى، يأتي دور المقسم عليه وهو فلاح من زكّى نفسه وخيبة من ترك تزكيتها، والعلاقة بين المقسوم به والمقسوم عليه، بأن كل هذه الظواهر الكونية مسخرة للإنسان وهو مُلَهَم الفجور والتقوى فعليه أن يختار طريقه، وبيان أن طريق التزكية هو طريق الظفر بالمطلوب ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ والتزكية هي التطهير والنماء، وبعكسه الطريق الأخر الذي يُوصِل إلى الخيبة ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، والخيبة هي الحرمان والخسران بفوات المطلوب، والدّس إدخال الشيء قَسْراً، وفي نسبة التزكية والدس إلى العبد من أدلة اختيار الإنسان للعمل وعدم جَبْره، وترتب الأثر على العمل الاختياري من الفلاح أو الخيبة، وكمثل للخيبة الجماعية التي نزلت بالأقوام السابقة – ومن الممكن أن تنزل بغيرهم – ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ فبسبب الطغيان – وهو تجاوز الحد - كان تكذيبهم، ووصل تجاوزهم لحد ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ فإذا كانت ثمود كلها مكذبة شقية فكيف يكون الأكثر منهم شقاءً (قدار بين سالف)، مع التحذير الإلهي على لسان رسول الله صالح عليه السلام من مس الناقة بسوء أم منعها من نوبتها في السقي ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾، ونسبة الناقة إلى الله فلأنها معجزةفقد خرجت هذه الناقة من الجبل تصديقاً لدعوى النبوة، والقرآن ينسب عقر الناقة إلى كل القوم – ورغم أن العاقر واحد- وذلك بسبب مشاركتهم والتخطيط لعقر الناقة وهو نحرها أو قتلها، ويُذَكَر سبب آخر بالنسبة للجميع وهي رضا الباقين بما فعل الواحد، وكان نتيجة ذلك ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾، ومعنى الدمدمة هي الأطباق وتعني هنا شمول الكل بالعذاب ، ومعنى التسوية إن كانت ال(ها) عائدة إلى ثمود فيكون المعنى سوى ثمود بالأرض، وإن كانت ال(ها) عائدة الى الدمدمة فيكون المعنى أنه لم يفلت من القوم أحد، وأُختلف في عود الـ (ها) في آخر السورة المباركة ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، فإن كانت عائدة إلى (ربهم) فيكون المعنى إن الله سبحانه أنزل بهم العذاب الشامل بدون خوف من تبعات ذلك –كما هو شأن الملوك- وإن كانت عائدة إلى اشقى ثمود فيكون المعنى إنه أقدم على جريمته بدون خوف من التبعات، لذلك سماه الحديث النبوي اشقى الأولين وسمى قاتل أمير المؤمنين أشقى الآخرين.

القرآن الكريم
واختيار الناصح الأمين

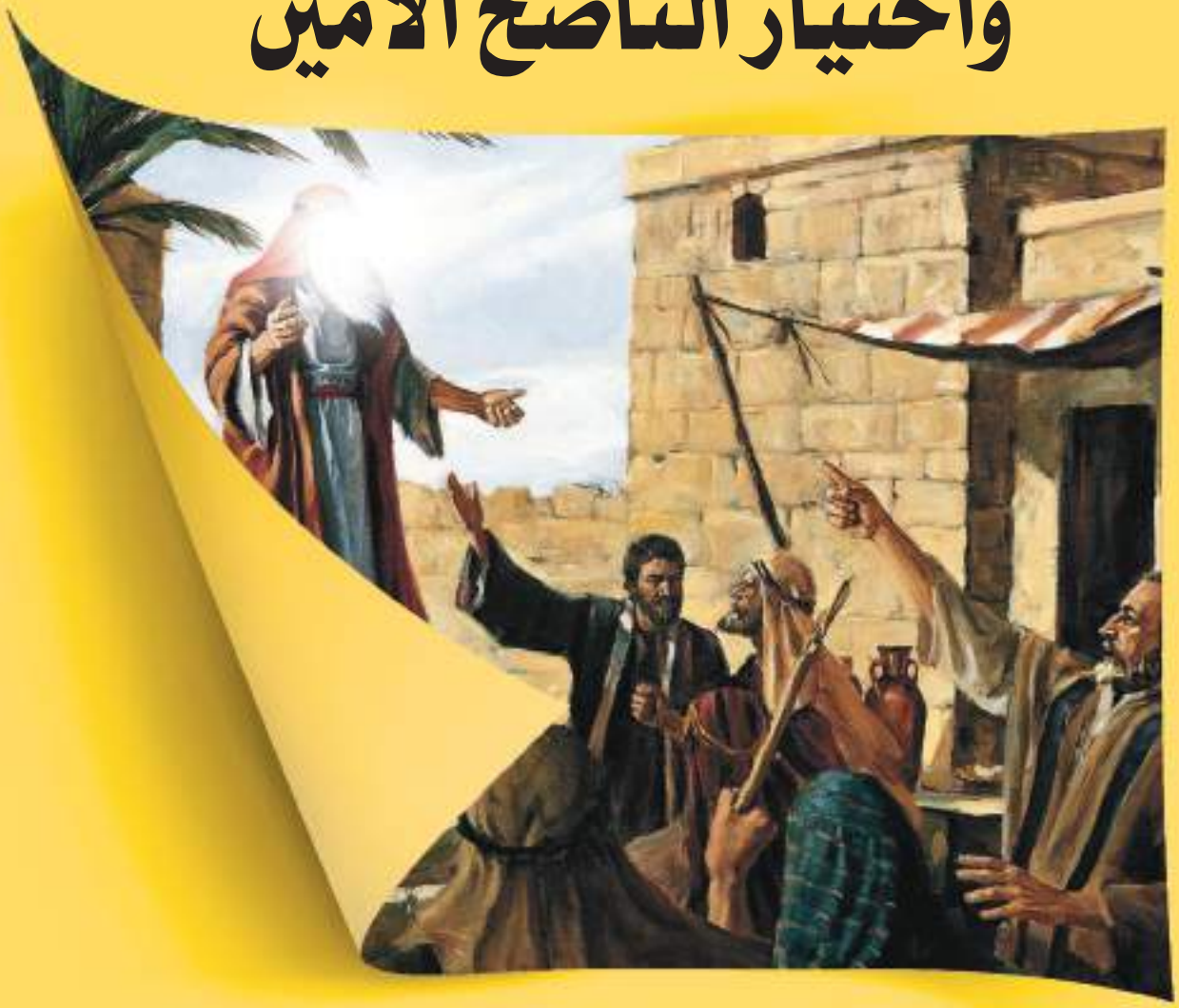

عامر عزيز الأنباري

ليس هنالك كتابٌ أعظم من القرآن فهو ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، وهو ينبوع العطاء الإلهي المتجدد الذي لا يحدّه زمان أو مكان، وإنّ مكارم الأخلاق التي دعا إليها لا يمكن الاستغناء عنها، ففيها تترسخ المبادئ والقيم الصحيحة، وهي بوصلة الوصول إلى جادة الصواب، والنصح في مفهومه العامّ يُعدُّ من مكارم الأخلاق، ومن الفضائل التي تؤدي إلى المنفعة وتحقيق الخير للناس فإنّ (خير الناس من نفع الناس)

إنَّ الناصح الحق هو الرائد الذي لا يكذب قومه، والقرآن الكريم كونه كتاب الله المنزل الذي يهدي إلى سواء السبيل يولي النّصح والنصيحة الأهمية البالغة، ويجعل النصح والأمانة في النصح من مزايا المبلغين رسالات ربهم ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[1]، وحين يتعرّض في مضامينه القصصية إلى النصح نجده يصور حالتين متناقضتين تماماً، فالنصح الذي يؤدي إلى الخير هو النصح الحقيقي أما الذي ينتهي إلى الشر فهو ليس نصحاً بل هو غواية واستدراجًا شيطانيًا خطيرًا، كونه يأتي مغلفاً بهيئة النصيحة التي يخفي صاحبها وراءه شراً، فالقرآن الكريم يصف لنا غواية الشيطان لأبوينا آدم وحوّاء وكيف بدا لهما كأنه ناصح واعظ لهما ولا يريد لهما إلا الخير والمنفعة: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[2]، وأوغل في خداعهما إلى حدّ القسم بالله تعالى على أنه يريد لهما النصيحة ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[3]، فطاوعاه على ما أراد بهما من الشر، وكان ما كان من غوايتهما وخروجهما من الجنة، ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[4]، مشهد قرآني آخر يصوّر لنا هذا النمط من المخادعة وادعاء النصح ورد في قصة النبي يوسف ﷺ وأخوته بعد أن أضمروا له شراً وأظهروا لأبيهم خلاف ذلك كي يرسله معهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾[5]، ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[6]، إن القرآن الكريم عندما يستعرض أنماطاً ومشاهد متعددة من هذه النماذج البشرية التي تتجلبب بجلباب الخير وتدّعي النصيحة، وحقيقة أمرهم أنهم لا يخفون إلا المكر والخديعة يريد تبارك وتعالى أن نكون منهم على حذر، ولا يعني ذلك أنّ لنا الحق بأن نسيء الظن بالآخرين، فإنّ الله تعالى ينهى عن ذلك ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[7].

إنّ أعظم ما يصيب المجتمعات من الضرر هو هذا النوع من المخادعة التي يمارسها الطغاة والجبابرة لتضليل الناس واستغفالهم وتحقيق مآربهم للحصول على المزيد من الهيمنة، والقرآن حافل بأمثلة ذلك فهذا فرعون كان قد استخفّ قومه فأطاعوه واتبعوه إيغالاً منهم في الفسق والفجور: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[8]، فالرأي هو ما يراه وحده فلا دين ولا ربَّ ولا ناصحَ سواه، وهم منقادون له انقياد البهائم على العمى والضلالة ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[9].

لقد أمعن الأنبياء والرسل في نُصْح الناس ودعوتهم إلى سبيل الحق والنجاة من النار، ولكنّ كثيراً من الناس لم تكن لتستهويهم تلكم النصائح، فهي لا تحقق لهم ما يتمنونه من أهواء الدنيا وملذاتها الفانية، ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[10]، والطغاة هم من يتصدّون دوماً لكل دعوة نُصْحٍ وإصلاح، ويتّخذون أساليب متنوعة لهذا التصدّي؛ لتشويه أيّ مساعٍ لتغيير الواقع الفاسد، فيتهمون أصحابها - رغم ما يُعرفون به من رجاحةٍ بالعقل- بالضلالة والسفاهة، ويهددونهم بالتهجير والقتل، فهذا نبي الله نوح ﷺ يُحدثنا القرآن كيف أنه كان يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وهم يسخرون منه ويتهمونه بالضلالة!، وهو يحاورهم بغية إقناعهم فيقول لهم : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[11]، ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[12]، وهذا نبي الله هود ﷺ يدعو قومه إلى عبادة الله وهم يتهمونه بالسفاهة، وهو يحاورهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويؤكد لهم أنه ناصح مخلص لهم في النصيحة : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[13]، ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[14]، كذلك نبي الله شعيب ﷺ يدعو قومه ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[15]، وهم يقابلون دعوته بتهديده بإخراجه من قريتهم ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[16]، إلا أن كل هذا النصح لم يُجدِ نفعاً مع أمثال هؤلاء الذين حقَّ عليهم العذاب، ولا ينبغي الأسى عليهم ولا على أمثالهم من الظّلَمة والمتغطرسين في كل زمانٍ ومكانٍ ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[17].

فهكذا نجد الأهمية التي أولاها القرآن للنّصْح والإخلاص في النصيحة، لما لهما من دورٍ حيويّ في بناء وإصلاح المجتمع الإنساني، وتجاوز النصيحة وتجاهلها فيه إلغاء لصوت العقل والمنطق الصحيح وهو ما يؤدي بصاحبه إلى الهَلَكة، فالاستماع إلى الناصح الأمين يحقق المنفعة والنجاة في الدارين، والتعالي عن النُّصح فيه أعظم الكِبر، مثلٌ آخر يؤكد أهمية الاستماع للناصح الذي يصدق في قوله ونصحه، فقد ورد في قصة موسى ﷺ واستماعه ﷺ لمن نصحه في الخروج من المدينة، قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[18]، فكان في استماعه لنصح مؤمن آل فرعون سبب في نجاته من بطش فرعون.

مما لا شك فيه أن من ينبغي التمسك بنصائحهم وإرشاداتهم هم الأنبياء والرسل وأولياء الله والصالحون من عباده، ويأتي في مقدمتهم سيد الرسل وخاتمهم محمد المصطفى ﷺ وآل بيته الأطهار ﷺ، فهم أصفياء الله تعالى وخاصته من عباده، وهم الناصحون الأمناء على رسالته، ولقد عانت الأمة المسلمة ما عانته في الحياد عنهم، وترك الأولى بالنصح وقيادتها للوصول بها إلى بَرّ الأمان.

١- سورة الأعراف، الآية : ٦٨.
٢- سورة طه، الآية : ١٢٠.
٣- سورة الأعراف، الآية : ٢١.
٤- سورة البقرة، الآية : ٣٦.
٥- سورة يوسف، الآية : ١١.
٦- سورة يوسف، الآية : ١٢.
٧- سورة الحجرات، الآية : ١٢.
٨- سورة الزخرف، الآية : ٥٤.
٩- سورة غافر، الآية : ٢٩.
١٠- سورة الأعراف، الآية : ٧٩.
١١- سورة الأعراف، الآية : ٦١.
١٢- سورة الأعراف، الآية: ٦٢.
١٣- سورة الأعراف، الآية : ٦٧.
١٤- سورة الأعراف، الآية: ٦٨.
١٥- سورة الأعراف، الآية: ٨٥.
١٦- سورة الأعراف، الآية: ٨٨.
١٧- سورة الأعراف، الآية: ٩٣.
١٨- سورة القصص، الآية: ٢٠.

الصحن الكاظمي الشريف
يشهد حفل تخرج دورة الجوادين عليهما السلام

للإسهام في إعداد نَشءٍ مؤمن حامل للثقافة الإسلامية الأصيلة من منبعها الصافي القرآن الكريم والعترة الطاهرة عليهم السلام، شهدت رحاب الصحن الكاظمي الشريف الإثنين٣ أيلول ٢٠١٨م حفل تخرج دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام الصيفية الثامنة لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتعلُّم الفقه والعقائد والأخلاق للبنين والبنات، التي أقامها دار القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية والإعلام، بحضور نائب الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة فضيلة الشيخ (عدي الكاظمي) وعدد من أعضاء مجلس الإدارة وأساتذة الدورة والمهتمين بالشأن القرآني، وعدد من الطلبة الخريجين وذويهم.

استُهِلَّ الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم تلاها على مسامع الحاضرين أحد ثمار هذه الدورة الطالب (سجاد سعد فتحي)، بعدها ألقيت كلمة العتبة الكاظمية المقدسة من قبل نائب أمينها العام حيث بيّن قائلاً: مما لاشك فيه أن التربية هي الأساس في صنع الفرد المؤمن وتنميته وتنشئته نشأة صحيحة خالية من الأمراض القلبية والنفسانية، وكذلك هذه التربية لا بُدّ أن تكون على منهج وأسس علمية صحيحة، والا كانت الثمار غير مرجوة، وكما نعرف أن هذه الأسس والقوانين وضعها الله عزّ وجلّ لعباده التي من شأنها أن تنمّي الفرد اليافع الصغير حتى يكون فرداً صالحاً مؤمناً قوياً داخل مجتمعه، ولا شك أن القرآن الكريم وسيرة أهل البيت عليهم السلام هي ذلك الرافد والمنبع والمعين الذي لا ينفد.

أعقبها كلمة دار القرآن الكريم وألقاها قارئ العتبة المقدسة السيد (عبد الكريم قاسم) جاء فيها: لأهمية كتاب الله تعالى حثّنا الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام على تعلّم القرآن وتعليمه، حيث قال صلى الله عليه وآله: (اقرأوا القرآنَ فإنّهُ شافعٌ مشفّعٌ)، وهذا يُلقي علينا ضرورة الالتزام بما نقرأ ونتعلم كي يتطابق قولنا مع سلوكنا، ومن هذا المنطلق تسعى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة من خلال دار القرآن الكريم إلى الاهتمام بكتاب الله تلاوةً وتعليماً، فها نحن اليوم نحتفي بأبنائنا الطلبة الذين شاركوا في دورة الجوادين عليهما السلام الصيفية الثامنة، فهدفنا من هذه الدورة هو استثمار أوقات فراغ طلبتنا وقد جدّوا واجتهدوا في هذه الرحاب الطاهرة ليقطفوا من جوار الإمامين الجوادين عليهما السلام ثمار جهودهم.

وأضاف: أن المنهج اشتمل على تعليم القرآن الكريم وتلاوته، وتعليم الصلاة وسائر التكاليف بصورة مبسطة، فضلاً عن أصول الدين وفروعه وسيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام، حيث انتظم في هذه الدورات مائتان وثلاثون مشاركاً من كلا الجنسين، وتم تقسيمهم على وفق مرحلتين الابتدائي والمتوسط وإعطاؤهم مناهج تناسب أعمارهم.

تلتها كلمة الأساتذة وألقاها نيابة عنهم الأستاذ (كريم الأنصاري) قائلاً: إن المدرسة الأولى للطفل هو البيت، فالطفل الذي يغذيه الأبوان بكلمات شريفة مُفعمة بالحب والحنان حتى يستوفي أيام طفولته يختلف عن الطفل الذي تلطّخت أيادي والديه بالمعاصي والآثام.. أيها الأب.. أيتها الأم ربما تغفل عن المسؤولية التي تنتظرك حين يخرج مولودك إلى الدنيا، ولا تظن إن قصّرت سوف تتمكن من التخلّي عن تلك المسؤولية، فكلّ ما يصدر من طفلك طوال عمره من خير أو شر فلك حظ من مسؤولية أفعاله، كن من أتباع أهل البيت عليهم السلام لتربي جيلاً غنياً بالعزة والكرامة والشهامة والحزم والتفاني لأجل العقيدة.

بعدها شهد الحفل مجموعة من الفعاليات والمشاركات قدّمها طلبة الدورة القرآنية وطالباتها، ليختتم بتوزيع الهدايا التشجيعية والشهادات التقديرية على الأساتذة المشرفين في الدورة والطلبة المشاركين فيها.

قرّاء العتبة الكاظمية المقدسة
حضور فاعل في الديار المقدسة

في كل عام تتشرف الأصوات التي تصدح من منائر الإمامين الكاظمين عليهما السلام بحضورها في موسم الحج ليتردد صداها في رحاب رسول الله وأئمة البقيع صلوات الله عليهم أجمعين، وكذلك من جوار المسجد الحرام في مكة المكرمة، إذ يتم اختيار القراء رسميًا من قبل الهيأة العليا للحج والعمرة ضمن وفد البعثة العراقية.

وعن نشاطات هذا العام التقينا القارئ الحاج همام عدنان حيث كان في الوفد الذي ضمّ الدكتور القارئ رافع العامري ليحدثنا عن المهام التي أنيطت بهما فقال:

بحمد الله تعالى تشرفنا بخدمة الحجاج العراقيين بإطلاق حملة تصحيح قراءة سورة الفاتحة وقراءة الأدعية والابتهالات قبل جلسات تصحيح القراءة، كما تمت المشاركة في المحافل الرسمية في المدينة المنورة ومكة المكرمة، فضلاً عن المشاركة بتلاوات في مجالس الفاتحة التي أقيمت ترحمًا على أرواح الحجاج العراقيين الذين قضوا نحبهم في المدينة المنورة ومكة المكرمة.

ومن المهام اليومية هي تلاوة القرآن ورفع الأذان والإقامة لصلاة الجماعة في مقر إقامة البعثة العراقية فضلاً عن قراءة الأدعية بين الصلاتين وقراءة الأدعية المخصوصة.

أما في يوم عرفة فهناك أعمال خاصة تقام بصورة جماعية في مشعر عرفة لذلك تم إحياء مراسم دعاء الإمام الحسين عليه السلام، حيث اقتصر التمثيل الرسمي للبعثة العراقية على قارئي العتبة الكاظمية المقدسة (الدكتور الشيخ رافع العامري والخادم همام عدنان)، كما قمنا بتلاوات متفرقة في المشاعر المقدسة (عرفة، ومزدلفة، منى).

ختاما نشكر الله تعالى على توفيقه لتشريفنا بتلاوة القرآن الكريم وخدمة الحجيج في الديار المقدسة تحت عنوان طالما افتخرنا به وهو قارئ العتبة الكاظمية المقدسة.

اجتماع موسع لإنجاح مسابقة النخبة الوطنية

حضر مسؤول دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة (الحاج جلال علي محمد) الاجتماع التحضيري الذي انعقد في مبنى دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بدعوة من المركز الوطني لعلوم القرآن في ديوان الوقف الشيعي بحضور مسؤولي الدور والمراكز والمعاهد القرآنية في العتبات والمزارات لمناقشة آلية عمل المسابقات القرآنية الوطنية والدولية، وتم خلال اللقاء مناقشة الآلية المتبعة في مسابقة النخبة الوطنية لحفظ وتلاوة القرآن الكريم والتي يتأهل من خلالها الفائزون للمشاركة في المسابقات الدولية، كما تم الاتفاق على الفقرات الخاصة بالترشيح والخطوات التي تعمل على إنجاح هذه المسابقة.

من جانبه ذكر مدير المركز الوطني لعلوم القرآن الكريم الدكتور رافع العامري: " كان الاجتماع مثمراً وتم اتخاذ قرارات عدة منها أن تقيم كل عتبة مسابقة ترشح من خلالها ممثليها من الحفاظ والقراء الذين يتأهلون لمسابقة النخبة، كذلك الرجوع للجنة الشورى التي تم تشكيلها من المركز الوطني ودور القرآن الكريم في العتبات المقدسة لتقرير آلية الترشيح الخاصة بتمثيل العراق في المسابقات الدولية ".

مناقشة مشروع المحطات القرآنية في زيارة الأربعين

بدعوة كريمة من دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة حضر مسؤول دار القرآن الكريم التابع للعتبة الكاظمية المقدسة (الحاج جلال علي محمد) الاجتماع الموسع والمنعقد في كربلاء والذي ضمّ مسؤولي الدور والمراكز والمعاهد القرآنية في العتبات والمزارات استعدادا للمشروع القرآني في زيارة الأربعين .

وقد شهد الاجتماع مداولات مستفيضة بشأن الاستعدادات التي تضمن نجاح مشروع المحطات القرآنية في زيارة الأربعين مع إمكانية العمل ضمن المشروع التبليغي الذي تقيمه الحوزة العلمية والذي يقام كل عام بمباركة المرجعية الدينية العليا وبدعم ورعاية العتبات المقدسة والمزارات الشريفة.

الشيخ نجم عبد الرضا الدراجي

باسط كفيه إلى الماء

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

الدعوة والدعاء توجيه نظر المدعو – أي كان - إلى الداعي المحتاج المفتقِر، فلابد أن يوجهه لمن يعلم بها ويقدر على الاستجابة، والأمران مجتمعان في المولى سبحانه فهو عليم بكل شيء، والقادر على كل شيء، فهو الجدير بأن يكون المدعو لا غيره وأول الآية يُؤكّد ذلك الحصر، فتقديم الظرف ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ يفيد الحصر وباقي الآية يُؤكّده ويُعزّزه: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾، ومن التقابل نفهم بطلان الدعوة الثانية واستجابة الدعوة الأولى، والمهم في المسألة أنَّ الدعوة الثانية لـ(من دون الله) وهي الآلهة التي تُعبد من دون الله ويُطلب منها قضاء الحوائج باعتقاد أن بيده الضُّر والنفع، فلا علاقة للآية الكريمة لحضر ومنع التوسّل للأنبياء والأئمة والصالحين كما يتوهم البعض، فالمسلم المتوسّل بالذوات المقدسة لا يعتقد بألوهيتهم أولاً، ولا يعتقد باستقلالهم بالنفع والضّر ثانياً، لكن يعتقد وجاهتهم عند الله وقبول شفاعتهم، وبعد نفي الاستجابة هناك استثناء من هذا النفي وهو: ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ وفي معنى هذا الاستثناء احتمالات ثلاثة:

الأول: تمثيله للداعي بالجالس على البئر وهو عطشان ويطلب الماء بإشارة من يده فقط، فلا يصل إلى مطلوبه أولاً.

الثاني: تمثيله للداعي بالباسط كفه في الماء ليتجمع ويردّه إلى فمه فلا يصل شيء إلى الماء، لأنه يَتَسرّب من بين الأصابع.

الثالث: تمثيله للداعي بمن يحتفظ بالماء بيده، والحال أن اليد لا تحفظ الماء.

وتختتم الآية الكريمة أن دعاء الكافرين لا يوصلهم إلى مطلوبهم ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

الإنفاق في المنظور القرآني

-القسم الثاني-

تَكَلّمنا في العدد السابق عن أحد وجوه تفسير ما ورد في القرآن الكريم -على لسان الذين كفروا- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، فقلنا إن لاستنكارهم معنيين الأول وهو الاستنكار التهكّمي وهذا ما تكلمنا عنه آنفاً، أمّا الثاني فهو الاستنكار الإيهامي، وهو موضوعنا في هذا العدد.

محمد أيوب

قلنا إن المراد من الاستنكار التهكّمي هو نفي وجود الله تعالى، على خلاف الاستنكار الإيهامي المراد منه إنكار ما جاء به النبي وتكذيبه.

إن الاستنكار الإيهامي يُعَدّ كفراً -بالمعنى الخاص للكفر- وإنْ كان صادراً ممن يؤمن بالله تعالى، فقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم من اليهود والنصارى الذين يؤمنون بالله تعالى وبعض ما جاء في كتابه ويكفرون بما لا ينسجم وأهواءهم ومَصالحهم، في قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[1] أو قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[2]، كما أن المُنْكِر لضرورة من ضروريات الدين الإسلامي يسمى كافراً أيضاً، باعتبار أن حقيقة إنكار الضروري هو تكذيب للمُرْسَل، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[3]، وغيرها من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وقد بيّن أهل البيت عليهم السلام أن الكفر على خَمْسة أوجه في كتاب الله، حيث سُئِل أبو عبد الله عليه السلام عن الكفر فقال عليه السلام في حديث طويل: (الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه... والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عز وجل به... فكفرهم بترك ما أمر الله عز وجل به ونسبهم إلى الإيمان ولم يقبله

١- سورة البقرة، الآية: ٨٥.
٢- سورة آل عمران، الآية: ٧٠.
٣- سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

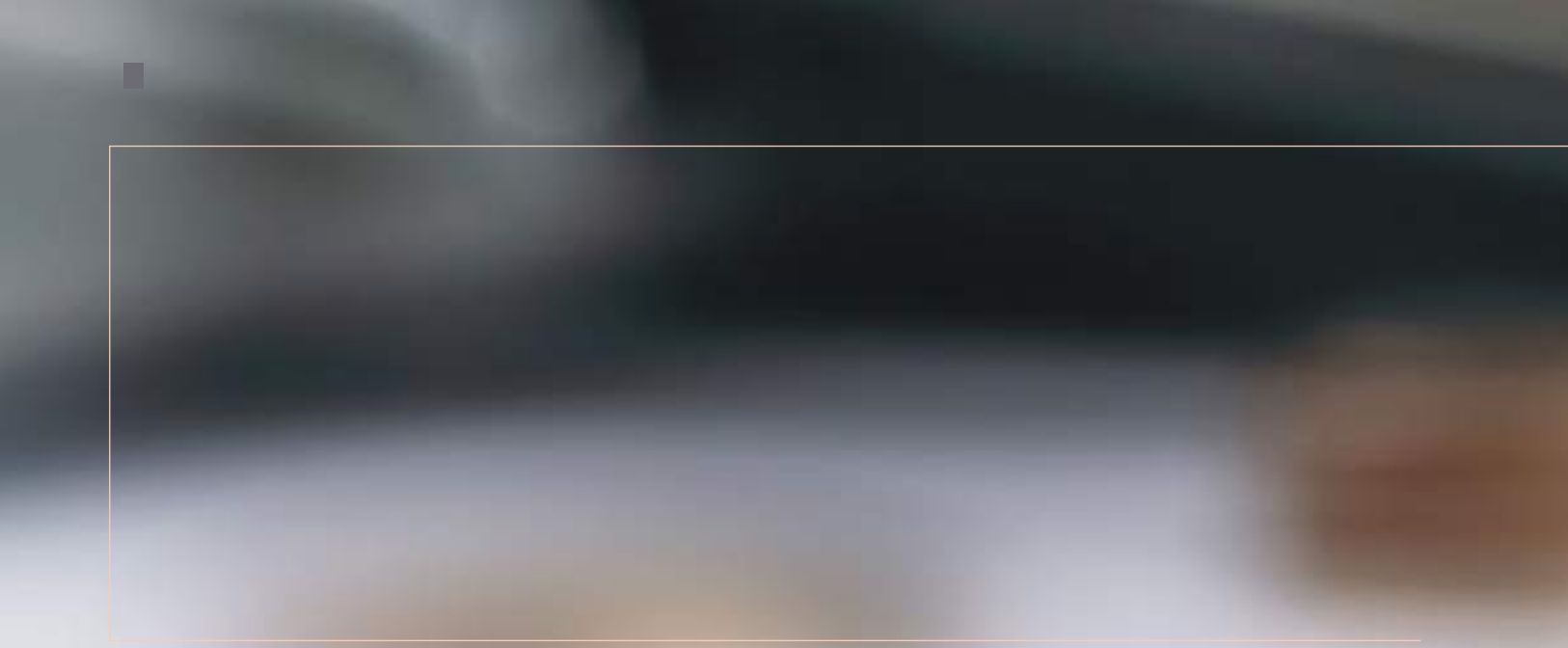

منهم ولم ينفعهم عنده...)[٤] وعلى هذا الأساس يمكن عَدّ (الذين كفروا) الوارد ذكرهم في الآية من هذا الصنف -الذين ثبت عندهم وجود الله ولكنهم أنكروا آياته وكذّبوا رسله- وبهذا يختلف المقصود من الاحتجاج الوارد في الآية بين هؤلاء وبين من أنكر وجود الله تعالى.

إن الاستنكار الوارد في الآية قوله تعالى: ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَه﴾، ينطوي على مغالطات عدة يمكن إجمال القول في بعضهاكما يأتي:

المغالطة الأولى: إن احتجاجهم على المؤمنين قد يفهم منه أن أمر الأنفاق ليس من الله، والدليل هو اتهامهم للمؤمنين بأنهم على ضلالة كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وأصل هذا الاحتجاج باطل؛ وذلك لأن الكاشف عن أمر الله والمبلّغ رسالاته إلى الناس هم الأنبياء والرسل حصراً، وبما أن احتجاجهم على أمر الإنفاق يستلزم تكذيب الرسل، فالسؤال هنا: من أين علموا بما أمر الله ؟! وهل يبقى لديهم ما يحتجّون به بعد تكذيبهم الرسل ؟!!

المغالطة الثانية: إن الله تعالى هو من منع الفقراء ولم يعطهم كونه المسؤول عن إطعامهم، وهذه مغالطة واضحة بصريح القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٥] فالآية تؤكد مسألة مهمة وهي أن الصدقات -وهي هنا بمعنى الزكاة- فريضة من الله، فمن لم يُؤدّ الحقوق الشرعية في أمواله يكون هو من منع الفقراء حقهم وليس الله تعالى، كما يؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[٦].

المغالطة الثالثة: إن في كلام الكافرين إيحاءً بأن الفقر والغنى من الأمور القهرية الحتمية التي قدّرها الله على عباده ولا سبيل إلى تغييرها، وهذا من المغالطات الواضحة، إذ لو أدّى الغني الحقوق المترتبة عليه تجاه الفقير لارتفع فقره وهذا أمر بديهي، كما أن كلا الأمرين -الفقر والغنى- ليسا كما يقولون، بل هما في الحقيقة من الابتلاءات التي ابتلى الله بها عباده كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ... وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾[٧]، فيترتب الجزاء -من ثواب أو عقاب- وفق تعامل الإنسان مع هذا الابتلاء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى * إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾[٨].

المغالطة الرابعة: إن ربطهم الإطعام والأنفاق بالمشيئة الإلهية الحتمية يدل على جهلهم بالنواميس الإلهية والحكمة من جعل الإنسان مختاراً في أفعاله غير مجبر عليها، فالواقع أن الله تعالى شاء أن ينزّل على الإنسان منظومة متناسقة ومتكاملة من الأوامر والنواهي وأن يكون الإنسان مُخَيّراً في الامتثال لها أو تركها؛ ليستحق الثواب أو العقاب على وفق اختياره هو، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٩].

كما أن جَعْل الإنسان مختاراً لا يخرج الله تعالى عن قدرته وسلطانه كما بين هذا تعالى في رده على احتجاج المشركين في الآية: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾[١٠]، فوجه تعالى القول إلى رسوله بأن: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١١]، فتعالى الله القاهر فوق عباده، الحكيم العليم.

بيان لا بد منه

إن الله جل وعلا شاء بحكمته ولطفه أن يرزق بعضاً وبَقدِر على بعض رحمة بهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[١٢].

كما أنه تعالى قادر على أن يطعم ويرزق من يشاء، ولكنّه تعالى أجرى الأشياء بأسبابها التي وضعها هو عزّ وجل، كما جاء في الحديث الشريف: (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب)[١٣]، فمن أسباب الرزق هو سعي الإنسان وشخوصه لعطاء الله تعالى، كما أن قعود الإنسان يحرمه ذلك العطاء، ونجد هذا المعنى في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام في من لا يستجاب دعاؤهم: (رجل يقعد في بيته ويقول: رب ارزقني ولا يخرج ولا يطلب الرزق فيقول الله عز وجل له: عبدي ألم أجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري ولكيلا تكون كَلّاً على أهلك، فإن شئت رزقتك وإن شئت قَتَّرت عليك وأنت غير معذور عندي)[١٤].

إن معادلة الرزق والعطاء الإلهي تخضع للكثير من المتغيرات الشرعية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها - لما فيها سعادة الفرد والمجتمع في الدارين -، وهذا ما دلت عليه جملة من الأحاديث الشريفة، منها: (حسن الجوار يزيد في الرزق)[١٥] وفي حديث آخر عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: (إن الرفق والبر وحسن الخلق يعمر الديار، ويزيد في الرزق)[١٦].

فلله الحجة البالغة وهو القاهر فوق عباده.

٤- الكافي، للكليني ج٢/٣٨٩-٣٩٠.
٥- سورة التوبة، الآية: ٦٠.
٦- سورة المعارج، الآيتان: ٢٤-٢٥.
٧- سورة الفجر، الآيتان: ١٥-١٦.
٨- سورة الليل، الآيات: ٤-١٣.
٩- سورة الإنسان، الآية: ٣.
١٠- سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.
١١- سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.
١٢- سورة الشورى، الآية: ٢٧.
١٣- الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي ج١/ ٤٨٦.
١٤- الكافي، للكليني ج٥/٦٧.
١٥- المصدر نفسه ج٢/٦٦٦.
١٦- بحار الأنوار، المجلسي ج١/١٥١، ومن أراد الاستزادة فليراجع: بحار الأنوار، المجلسي ج٧٣/٣١٤، باب (ما يورث الفقر والغنى).

شريك القرآن

كان ولا زال وسيبقى
سيد الشهداء عليه السلام رمزاً
سامياً ينبض بالمُثل
والدروس والقيم، سواءً
بسيرته الوضّاءة أو
بوصاياه النيرة التي جرت
على لسانه، كأنها لآلئ
منظومة ودرر مكنونة،
والتي هي بحق تجليات
إعجازية مبدعة، وذخائر
بلاغية غنية، ولفتات
جمالية أخّاذة، وباختصار
شديد لنا أن نقول: إن
كلمات الحسين عليه السلام
الشريفة هي موسوعة
معارف إنسانية

غضران كامل كريم

فمن هنا كان من الأجدى والأجدر الانتهال من هذا المعين المعطاء والاقتباس شيئاً من بعض تراثه الكلامي الثرّ، الذي يلهم الحياة ويهذب النفوس، ويشحذ الهمم وينمّي الوعي، لنجعله نهجاً نسير على هديه، حتى نصيب الخير العميم في الدنيا والآخرة.

وقد شغل القرآن الكريم حيزاً كبيراً من المأثور الروائي المنسوب لسيد الشهداء، إذ أكد عليه السلام تأكيداً شديداً على الاعتناء بتكريم القرآن أيّما تكريم وتقديسه كل التقديس، فركّز عليه السلام على أهميته في حياة المسلمين وأوضح شأنه الكبير وأثره العظيم، حيث دعا عليه السلام من الإكثار بتلاوة سُوَره الميمونة وآياته المباركة، فقال عليه السلام مبيناً لعظيم الأجر والثواب في ذلك الفعل الممدوح: (من قرأ آية من كتاب الله عز وجل في صلاته قائمًا يكتب له بكل حرف مئة حسنة، فإذا قرأها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات، وإن استمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنة، وإن ختم القرآن ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن ختمه نهارًا صلت عليه الحفظة حتى يمسي، وكانت له دعوة مجابة، وكان خيرًا له مما بين السماء إلى الأرض، قلت: هذا لمن قرأ القرآن فمن لم يقرأ؟ قال: يا أخا بني أسد إن الله جواد ماجد كريم، إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك)[1].

وقد حثَّ الإمام الشهيد عليه السلام على تربية الأولاد تربية قرآنية خالصة منذ بواكير أعمارهم، كما وشجّع المربّين على تعليمه لأطفالهم، وغَرس حب القرآن الكريم في نفوسهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وهذا درسٌ آخر نتلقاه من المدرسة الحسينية وجب علينا تفرّسه والتمعّن به وإدامة النظر إليه حتى يتعمّق ويتأصّل مدلوله في نفوسنا، حيث روي أن عبد الرحمن السلمي علّم ولد الحسين عليه السلام سورة الحمد، فلما قرأها على أبيه أعطاه عليه السلام ألف دينار وألف حُلّة وحشا فاه دُرّاً، فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: وأين يقع هذا من عطائه؟ يعني بذلك تعليمه القرآن[2].

وينقل لنا التاريخ روايات جمّة عن الإمام الحسين عليه السلام وهو يكشف أسفار كتاب الله، ويستخلص غرر آياته ويستنطق جوهر دلالاته، وكيف لا يكون هذا وهو حامله ومفسره وعِدله؟ فعندما يُسأل عن تفسير قول تعالى: (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) يقول عليه السلام: (هذه فينا أهل البيت)[3]، وما هذا الجواب الدامغ إلا تصريح صريح بالمنزلة العظيمة والمرتبة الجليلة لأهل بيت النبوة والتي لا يغفل عن ذكرها القرآن، وهذا الجواب على إيجازه يعطي مفهوماً رحباً، ودلالة واضحة عن المكانة السامقة التي يتبوأها أهل البيت الميامين عليهم السلام إذ لا يسبقهم بها سابق ولا يشاركهم فيها لاحق.

وعندما سأله النصرُ بن مالك: يا أبا عبد الله حَدِّثني عن قول الله عز وجل " [هذان] خصمان اختصموا في ربهم" قال: نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عز وجل قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله، فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة)[4].

فالذي يمكن أخذه مما سلف: إن الإمام الحسين عليه السلام هو معدن التنزيل وصاحب التأويل، اهتم اهتماماً شديداً واعتنى عناية فائقة بتبجيل القرآن المجيد، ودعا الأمة إلى الغوص بأعماق بحره العميق بُغية التقاط غرر جواهره واكتشاف كنوزه الثمينة، كما وركز عليه السلام على الآصرة القوية والعلاقة الوثيقة ما بين كتاب الله العزيز وحملته وهم أهل البيت الميامين عليهم السلام الذين اجتباهم الله تعالى لحمله، فأضحوا له ترجماناً وهم معه صنوان لا يفترقان في درب الإيمان، وتلكم التلازمية بين أهل البيت الميامين والقرآن العظيم عبّر عنها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (إن الله تعالى طهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا)[5]، فهذا الحديث يعطي إيجازاً لمفهوم رحب، ودلالة واضحة عن مكانة سامقة تبوأها أهل البيت الميامين عليهم السلام لم يسبقهم لها سابق ولا يشاركهم فيها لاحق، فأهل البيت عليهم السلام عاشوا مع النص القرآني منذ نزوله، وحملوا مكنوناته العظيمة التي ضعفت الجبال الرواسي عن حملها: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[6]، وأيضاً هذا الأمر بيَّنه الإمام الكاظم عليه السلام عندما قال: (علينا نزل قبل الناس، ولنا فسر قبل أن يفسر في الناس، فنحن نعرف حلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، وسفريه وحضريه، وفي أي ليلة نزلت كم من آية، وفيمن نزلت وفيما نزلت، فنحن حكماء الله في أرضه وشهداؤه على خلقه..)[7]، فلم تبق صغيرة ولا كبيرة في هذا المضمار إلا أحاطوا عليهم السلام بها علماً والإمام الحسين عليه السلام كغيره من الأئمة الميامين نهل من هذا النمير العذب.

١- الكافي، الكليني، ج٢، ص٦١١.

٢- بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٤، ص١٩١.

٣- التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٣٨٢.

٤- الخصال، الشيخ الصدوق، ص٤٣.

٥- الوافي، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٥٠١.

٦- سورة الحشر: الآية ٢١.

٧- بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٣، ص١٩٦.

أنماط الشخصية في القرآن

نجد في القرآن تصنيفًا للناس على أساس العقيدة إلى ثلاثة أنماط هم المؤمنون، الكافرون، المنافقون، ويشير هذا التصنيف أن العامل الأساسي في تقييم الشخصية في نظر القرآن هو العقيدة والتقوى.

المؤمنون

ذكر الله سبحانه وتعالى المؤمنين في كثير من الآيات ووصَفَ سلوكهم في كثير من مجالات حياتهم، فإذا جمعنا سِمات المؤمنين التي وردت في القرآن لأمكننا أنْ نُصَنّفها إلى تسعة مجالات عامة من مجالات السلوك هي:

١- سِمات تتعلق بالعقيدة: الإيمان بالله، وبرسله، وكتبه، والبعث والحساب.

٢- سِمات تتعلق بالعبادات: أداء الفرائض، تقوى الله، قراءة القرآن.

٣- سِمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية: معاملة الناس بالحسنى، الكرم والإحسان، الإيثار.

٤- سِمات تتعلق بالعلاقات الأسرية: الإحسان بالوالدين وذي القربى، حسن المعاشرة بين الأزواج.

٥- سِمات خلقية: الصبر، الحلم، الصدق، التواضع.

٦- سِمات انفعالية وعاطفية: حب الله، الخوف من عذاب الله، حب الناس.

٧- سمات عقلية معرفية: التفكير في الكون وخلق الله، طلب العلم والمعرفة

٨- سِمات تتعلق بالحياة العملية والمهنية: الإخلاص في العمل وإتقانه، السعي بنشاط في كسب الرزق.

٩- سِمات بدنية: القوة، الصحة، النظافة.

وليست هذه الصفات مستقلة بعضها عن بعض في شخصية المؤمن، بل إنها تتفاعل وتتكامل فيما بينها، وتشترك جميعها في توجيه سلوك المؤمن في جميع مجالات حياته.

الكافرون

ويمكن تلخيص سمات الكافرين كما يلي:

١- سِمات تتعلق بالعقيدة: عدم الإيمان بالتوحيد، وبالرسل، وبالبعث والحساب.

٢- سِمات تتعلق بالعبادات: يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم.

٣- سِمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية: الظلم، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

٤- سِمات تتعلق بالعلاقات الأُسرية: يقطعون صلة الرحم.

٥- سِمات خلقية: الفجور واتباع الأهواء، الغرور، التكبر.

٦- سِمات انفعالية وعاطفية: كراهيتهم للمؤمنين وحقدهم عليهم، وحسدهم على ما أنعم الله به عليهم

٧- سِمات عقلية ومعرفية: جُمود التفكير، التقليد الأعمى لمعتقدات الآباء.

المنافقون

هم فئة من الناس ضعاف الشخصية ومترددون لم يستطيعوا أن يتخذوا موقفًا صريحًا من الإيمان وتوعدهم الله بأشد العذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾[1] وأهم صفات المنافقين التي وردت في القرآن ما يلي:

١- سِمات تتعلّق بالعقيدة: لم يتخذوا موقفًا مُحددًا من عقيدة التوحيد.

٢- سِمات تتعلّق بالعبادات: يؤدّون العبادات رياءً وعن غير اقتناع.

١- سورة النساء، الآية ١٤٥.

٣- سِمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية: يميلون إلى خداع الناس، يكثرون من الحلف لدفع الناس لتصديقهم.

٤- سِمات خُلُقية ضعف الثقة في النفس والكذب والبخل والنفعية والانتهازية.

٥- سِمات انفعالية وعاطفية: الخوف، يكرهون المسلمين ويحقدون عليهم.

٦- سِمات عقلية ومعرفية: التردّد وعدم القدرة على اتخاذ القرار وعدم القدرة على التفكير السليم.

الحِيَل العقلية في القرآن

هي عبارة عن سلوك دفاعي يلجأ إليه الإنسان لوقاية نفسه من الشعور بالقلق الذي يمكن أن ينتابه إذا ما عُرفت دوافعه الحقيقية الكامنة في نفسه، والتي يحاول إخفاءها بالإلتجاء إلى الحيل العقلية.

الإسـقاط: حيلة عقلية يقوم فيها الفرد بإسقاط حالته النفسية ودوافعه وعيوبه وأخطائه على الغير فيدركها فيهم بدلا من أن يدركها في نفسه، فيدرك أنَّ صديقه يعامله بعداء، وقد صور القرآن أصدق تصوير في وصف المنافقين الذين يحسبون كل صيحة عليهم تصدر عن المسلمين موجهةٌ ضدهم.

التبريـر: هو حيلة عقلية دفاعية يحاول الإنسان بها تبرير دوافعه وأفعاله الغير مقبولة بأن يعطيها تفسيرًا يكون مقبولاً وقد وصف القرآن التبرير الذي يقوم به المنافقون بقوله تعالى: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[٢] تكون رد الفعل: حيلة عقلية دفاعية يتخذ فيها الفرد سلوكًا يكون مضادًا لسلوك آخر يريد إخفاءه قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما في قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ﴾[٣].

الفروق الفردية في القرآن

توجد فروق كثيرة بين الناس في استعداداتهم البدنية والنفسية والعقلية وترجع هذه الفروق إلى كل من العوامل الوراثية والبيئية.

٢- سورة البقرة، الآية:١١.
٣- سورة البقرة، الآية:٢٠٤.

وقد أشار القرآن الكريم إلى كثير من الفوارق بين الناس قال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾[٤]، وتوجد فروق بين الناس في العلم والحكمة ووجود فروق فيما بينهم في القدرات العقلية والذكاء، قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليمٌ﴾[٥].

واختلاف الناس في قدراتهم العقلية والبدنية يؤدي إلى اختلاف قدراتهم على العمل والكسب وتحصيل العلم، قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ ما آتاها﴾[٦].

إنَّ إشارة القرآن إلى وجود الفروق الفردية إنما هي الفكرة الأساسية لما وصل إليه علم النفس الحديث من الاهتمام بقياس الفروق الفردية بين الأفراد بحيث وجّه كل فرد إلى نوع التعليم المناسب لاستعداده وقدراته، وهذا هو الهدف لعملية التوجيه التربوي.

• نمو الإنسان في القرآن

يعنى علم النفس بدراسة المراحل المختلفة التي تمر بها عملية نمو الطفل، ويعنى أيضًا بدراسة مراحل نموه قبل الميلاد وهو لا يزال جنينًا في بطن أُمه.

٤- سورة الإسراء، الآية:٢١.
٥- سورة يوسف، الآية:٧٦.
٦- سورة الطلاق، الآية:٧.

النمو قبل الميلاد أشار القرآن الكريم في أسلوبه المعجز إلى مراحل نمو الجنين من بداية الحمل حتى وقت الميلاد وذلك في الآيات التالية: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[٧].

• النمو بعد الميلاد

يولد الطفل ضعيفًا وبحاجة إلى من يرعاه ويعنى به حتى ينمو ويكبر، ويستمر نمو الوليد بسرعة كبيرة في الأيام الأولى من حياته، ولكن تأخذ سرعة النمو بالتباطؤ تدريجيًا مع تقدم العمر، وتبدو الحياة هادئة مستقرة قبل فترة المراهقة، وما أنْ تبدأ مرحلة المراهقة حتى تتوالى على الطفل تغيرات قوية وسريعة عضوية وتشريحية ونفسية، ثم تهدأ سرعة هذه التغييرات في نهاية مرحلة المراهقة وبداية مرحلة الرشد التي تكتمل فيها عملية النمو، وتعود الحياة مرة أخرى للهدوء، وقد أشار القرآن إلى مراحل النمو التي يمر بها الإنسان، قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[٨].

ويظهر على الشيوخ بعد سن السبعين نوع من الاضطراب السلوكي يتميز بضعف الذاكرة وعدم القدرة على التركيز والخلط بين الماضي والحاضر والعجز عن إصدار الأحكام العقلية ويفقدون السيطرة على انفعالاتهم واندفاعاتهم ويطلق على هذه الحالة ذهان الشيخوخة.

ولقد أشار القرآن إلى حالة الاضطراب السلوكي التي تنتاب بعض الأفراد في مرحلة الشيخوخة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[٩].

• النمو الحسي للوليد

بينت الدراسات الفسيولوجية الحديثة أنَّ الوليد لا يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح في مرحلة مبكرة من العمر بينما يستطيع سماع الأصوات الشديدة.

ومن ذلك نستطيع أنْ نفهم الحكمة من مجيء كلمة السمع قبل الإبصار في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٠].

٧- سورة المؤمنون، الآيتان: ١٢-١٣.
٨- سورة الروم، الآية: ٥٤.
٩- سورة يس، الآية: ٦٨.
١٠- سورة النحل، الآية: ٧٨.

الأمثال في النص القرآني

الحلقة الثانية

سمير جميل الربيعي

ذكرنا في ذيل الحلقة الأولى أنَّ هناك أسلوباً ثالثاً انتهجه القرآن في ضرب الأمثال سوف نتطرق له في هذه الحلقة وهو التدرج والترقي في ضرب الأمثال تماشياً مع الترقي والتوسع في المدركات، فبدأ من المفردات التي كان يعيشها العربي آنذاك إلى الترقي في ضرب الأمثال بالظواهر الطبيعية والحوادث الكونية التي كان في أغلب الأحيان يجهل ماهيتها العربي وغير العربي، إلى أنْ بيّنها القرآن الكريم، فمثلاً يتخذ القرآن من الرياح المرسلة بإذن الله سبحانه وتعالى مثالاً في بيان العوائد والفوائد التي أنعم الله بها على الإنسان، ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[1]، يبين في الآية الأولى أنّ الرياح رائد خير وبشارة رحمة الله لعباده، فهي تحمل سحباً مثقلةً بالماء فتسوقها بإذن الله إلى بلد ميت فتحيي بها الأرض لتؤتي ثمارها، ثم يبيّن في الآية الثانية أنَّ هطول المطر وسقي الأرض هو جزء مما يتوقف عليه خروج النبات، على أنْ يستوفي خروج النبات شرطاً آخر وهو أنْ تكون الأرض خصبة صالحة للزراعة، وقد شبّه الله المؤمن بالأرض الطيبة التي تلين بسقوط المطر عليها فيحسن نباتها ويكثر ريعها، وفي قبالة ذلك شبّه قلب الكافر بالأرض البور التي لا تنبت، ثم انظر دقة المثال في نكتته الخفية، فمثلما جعل القرآن الرياح في أصل وجودها نعمة ورحمة بالعباد، وأنّ عموم الناس تستبشر بوجودها وهبوبها لأنّها مبشرات بقدوم بوادر الخير والرحمة مثلما ذكرنا سابقاً، كذلك هي سبب لتسيير السفن في البحار لتمكن المسافرين من بلوغ غاياتهم والتجار من ممارسة تجارتهم، ولو شاء جعلها الله ساكنة ولظلت السفن في البحار رواكد لا تتحرك: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[2]، كما أنّ الله سبحانه وتعالى يرسلها

١- سورة الأعراف، الآية: ٥٧، ٥٨.

٢- سورة الشورى، الآية: ٣٣.

لتلقيح الأشجار: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[٣]، وما لها من دور مهم تلعبه في توزيع سقوط المطر، وقد بيّن القرآن ذلك عبر إشارات وتلميحات قرآنية يفقهها ذوي الأبصار، ففي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٤]، يذهب كثير من المفسرين إلى القول بأنّ الرياح تزعج السحاب حسب تعبيرهم - لمناسبة قوله تعالى (فَتُثِيرُ سَحَابًا) - فتسوقها قطعاً بعضها فوق بعض ثم تقوم بضمه ليكون سحاباً ثقيلاً ثم تبسط السحاب في السماء بحسب مشيئة الله سبحانه وتعالى على مسيرة يوم أو بعض يوم أو مسيرة أيام فيسقط المطر على هيئة نقاط صغار متفرقة: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ ولا يسقط صبّاً جميعاً فيفسد ما أتى عليه، والعلم قد أيّد هذا الكلام من خلال النظريات والتفسيرات العلمية التي طرحها، ومن هذه النظريات نظرية تقول إنّ الشمس حينما تشرق وترسل أشعتها تقوم حرارتها بعملية تسخين المياه الموجودة على سطح الأرض فيتصاعد بخار الماء من الأنهار والبحار والمحيطات ليشكل سحابات في طبقات الجو ثم تقوم الرياح بسوقها وفق إرادة الله ومشيئته، وعندما تلاقي طبقات الجو الباردة تتكاثف لتكون قطعات متجمعة أو متفرقة ذات أحجام مختلفة خفيفة أو كثيفة مشبعة بالرطوبة، وهذه الرطوبة تتحول على شكل قطرات ثقيلة لا تقدر السحاب على حملها لتسقط من خلالها إلى الأرض، إذاً فبحسب ما جاء في القرآن وبما أيده العلم فأنَّ الرياح لها دخيلة كبرى في توزيع المطر، وأنَّ ما جاء في الموسوعة العربية الميسرة (١٧١٢)، ما يثبت ذلك - علميا - (إنَّ من العوامل التي تسيطر على توزيع سقوط المطر: مقدار الرياح المحملة بالرطوبة)، لقد بيَّن القرآن في هذا المثل أنَّ الله هو الوحيد الذي له القدرة على التحكم بها، بل والتحكم بقلب ماهيتها، فمثلما جعلها بشارة لقدوم الخير إلا أنه قادر على جعلها نذار لقدوم العذاب: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾[٥]

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾[٦]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٧]، في هذه الآيات المباركات ضرب القرآن الكريم مثل حال أولئك الذين أشركوا بالله، وبعدهم من الهدى وترديهم في الهلكة، كحال من تردت به الريح في مكان سحيق وعصفت به في بعض المهاوي المتلفة، كذلك أراد أنْ يبيّن من هذا المثل من طرف خفي أنَّ الريح قد تكون أحد أدوات العذاب للذين أشركوا رغم كونها في أصل وجودها يمثل الخير.

ثم يترقى القرآن في ضرب الأمثلة تناسباً مع ترقي مدارك الناس في المستقبل، والأمثال القرآنية من هذا النوع وإنْ ضُربت في ذلك الوقت لأسبابها ومناسباتها، إلا أنَّ ذلك لا يمنع من أنْ يكون لها أبعاد وحقائق مستقبلية يكتشفها الناس على مرور الزمن، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[٨]، كلنا يعرف أنَّ هذه الآية نزلت بحق أُبي بن خلف الذي جاء بعظمٍ بالٍ من حائط وفتته أمام رسول الله ﷺ في قضية معروف لا داعي لذكرها لضيق المقام، والآية على ما حملته في ظاهرها من استهجان وتوبيخ للإنسان المغرور المتجاهل لحقيقة بدءه ونشأته، والماء المهين الذي تكون منه، والضعف الذي يرافقه حال ولادته فلا يملك القدرة على شيء، بعدها يبدأ بالنمو ويتدرّج حتى يبلغ الرشد الجسماني والعقلي ليصبح قوياً لدرجة يتخيل معها أنه قادر على النهوض بوجه الدعوات الإلهية مثلما فعل الخصيم المبين أُبي بن خلف، ولا يتعدى فهمنا الظاهري لهذا المثال أكثر من هذا المعنى، إلاّ أنَّ هذا المثال يحمل بين طياته حقيقة جوهرية لم يكتشفها الإنسان إلا بعد توسّع مداركه واتساع علومه، فالمثال يشير من طرف خفي إلى الحقيقة التي تكوّن منها الإنسان، فهو ما تكون إلاّ من خلية حية متناهية في الصغر لا تُرى إلا بالمجهر، تتحد مع بويضة مستقرة في الرحم لتكون خلية مخصّبة تمر بأطوار ومراحل يتكامل فيها الجنين داخل الرحم عبّر عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٩]، وهذه الحقيقة لم تكن معروفة عند العرب وغيرها من الأمم، فهي تجهل تماماً الكيفية التي يتكون منها الجنين والأطوار التي يمر بها، وهذه المسألة لم يتطرق لها أحد قبل القرآن ولا بعده إلاّ في السنوات المتأخرة بعد تطوّر علم الأجنة، في حين أنَّ القرآن تكلَّم عن هذه المسألة بوثوق تام قبل ألف وأربعمئة عام تقريباً واصفاً الجنين وصفاً دقيقاً، متحدياً بذلك كل الناس على مر العصور، على اعتبار أنَّ القرآن كلام الله متعبد به إلى يوم القيامة لا يجري عليه التبديل والتغيير، فأي حقيقة يذكرها ستبقى كما هي إلى آخر الدنيا، فحينما يخبر عن حقيقة تكوّن الجنين فكأنه يتحدى العلم والعلماء إلى يوم القيامة، ويقول لهم هذه أطوار تكوين الجنين في بطن أمه، وأنا أذكرها لكم وأذكر مراحلها بالتفصيل، وإنْ كان عندكم اليوم وفي المستقبل غير الذي أقول فهاتوه إنْ كنتم صادقين: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٠].

إنَّ القرآن حينما يضرب مثلاً ما فإنَّ هناك أهداف وأغراض عدة من وراء ذلك، وحينما ضرب هذا المثل استفدنا منه عدة أمور فوق تلك التي كانت للمعنى الظاهري للمثال، وهي أولاً إظهار الثقة المطلقة من خلال تحديه بصحة ما يدعيه عندما أخبر عن حقيقة تكوّن الجنين في رحم أمه، في الوقت الذي لم تكن البشرية تعرفه أو تعلم به، فكأنه يقول أني أسجل هذه الحقيقة للأجيال ومتى ما تقدم بها العلم واكتشفت الأطوار التي يمر بها الجنين، عَلِمَتْ أنَّ هذا الكلام لا يصدر إلاّ من الله سبحانه وتعالى، وفي هذا رد على من يزعم أنَّ القرآن والحقائق التي جاءت فيه هي من إملاءات بشرية، وثانياً أنَّ القرآن أراد أنْ يبيّن بضرس قاطع أنَّ كل ما يذكره هو عين الحقيقة ودليل صدقه، فهو متأكد تمامًا أنَّ ما يقوله هو الحق، إذ لو تطورت الأيام وأثبت التقدم العلمي خلاف ما جاء به القرآن: (لا سمح الله) لسلّم القرآن بنفسه وسيلة هدمه، ولأعطى للكفار السلاح والمعول الذي ينقض به الدين من أساسه.

٣- سورة الحجر، الآية: ٢٢.
٤- سورة الروم، الآية ٤٨.
٥- سورة الإسراء، الآية ٦٩.
٦- سورة الذاريات، الآية ٤١.
٧- سورة الحج، الآية ٣١.
٨- سورة يس، الآيتان ٧٧، ٧٨.
٩- سورة المؤمنون، الآية ١٣، ١٤.
١٠- سورة البقرة، الآية ١١١.

الإمام الحسين عليه السلام
مرآة الآيات القرآنية

إنَّ علاقة القرآن الكريم وأهل البيت العصمة عليهم السلام علاقة عميقة ووطيدة إلى درجة لا يمكن أن يصفها أي قلم أو بيان، وإنَّ حديث الثقلين المتواتر يثبت ذلك بنحو مكتمل، حين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما أكبرُ من الآخرِ، كتابُ اللهِ حبلٌ ممدودٌ من السماءِ إلى الأرضِ وعترتي أهل بيتي، وإنهما لنْ يفترقا حتَّى يردا على الحوض)[1]

بقلم: آية الله كريمي الجهرمي
ترجمة: حسين محيي الطائي / بتصرف

تُعدّ علاقة الإمام الحسين عليه السلام بالقرآن علاقة ذات جذور عميقة، ومما أثبت ذلك الكم الكبير من العبارات العالية المضامين الواردة في أدعيته والنصوص الخاصة بزيارته وهذه حقيقة غير القابلة للإنكار. حيث نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عيد الفطر والأضحى: (وَأَشْهَدُ أَنَّكَ التَّالِي لِكِتابِ اللهِ) وفي زيارته في ليلة القدر نقرأ: (اَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ اَقَمْتَ ... وتَلَوْتَ الكِتابَ حقَّ تِلاوَتِهِ) ونقرأ في زيارات سيد الأبرار مثل زيارة عيد الفطر والأضحى عبارة (السَّلامُ عَلَيْكَ يا شَريكَ الْقُرْآنِ)، فالإمام الحسين عليه السلام شريك القرآن ونظيره. يعدُّ الإمام الحسين عليه السلام شريك القرآن من نواح عديدة، منها:

١- الاثنان حجج الله.

٢- الاثنان وُهبا من العالم العلوي إلى الأرض.

٣- الاثنان وديعتا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وذكراه.

٤- الاثنان نورا الله الذي يضيء ظلمات الأرض والعالم المادي.

٥- الاثنان هاديا المجتمع الإنساني نحو الخير والصلاح، إذ يسوقان الأمم نحو الصراط المستقيم وطلب العدالة والحرية والعزة والشرف والإنسانية.

٦- الاثنان ذكّر أهل الإيمان والأحرار في الليل والنهار.

٧- الاثنان سيبقيان مدى الدهر أحياء ولا يمكن تركهما جانبًا، فهما النوران الإلهيان المضيئان.

٨- لا يرهق تكرار الآيات القرآنية الإنسان؛ لأنه دومًا يكتشف أشياء جديدة في تلك الآيات، كأن القارئ يقرأها لأول مرة لما تحمله تلك الآيات من خصوصية. وإنَّ تكرار ذكر اسم الإمام الحسين عليه السلام وفضائله ومناقبه العديدة وأحاديثه الجميلة والجذابة وبيان كل بعد من أبعاد شخصيته لن تقلل من قيمته وإضاءته.

٩- أثَّر الاثنان في العالم وأحدثا فيه تحولًا سيبقى إلى الأبد وهما واضحا الملامح في عرصة حياة الإنسان، يقومان بتربية الإنسان ليصل به إلى كمال الشرف والعزّ والمجد والفخر.

١٠- الاثنان يبشّران الإنسان برحمة الله وعنايته ولطفه، ومن هنا فإنَّ القلوب لمَّا تسمع الذكر أو تقرأ تحلق إلى الأعلى، كما أنَّ أحاديث الحسين عليه السلام وبيان كيفية حياته تلطف الأنفس وتشوّقها للعروج إلى جنة الله.

١١- الاثنان يعدَّان صاعقة عذاب على رؤوس أعداء الدين والإنسانية والظالمين، فنرى أن الجُناة هجموا على الاثنين بوحشية.

كان الوليد يدَّعي أنه يتفاءل بالقرآن الكريم، فيفتحه كل يوم قبل خروجه من قصره، ليقرأ الآية التي تظهر أمام عينيه، وفي أحد الأيام ظهرت له الآية التي تقول: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخابَ كُلُّ جَبّارٍ عَنِيدٍ﴾[1]، فما كان منه إلا أن جعل القرآن في مرماه ورماه بالسهام حتى مزقَّه تمزيقًا، لينشد قائلًا:

تهـــدّدني بجبّـــار عنيـــد
فهـا أنـا ذاك جبّـار عنيـد
إذا ما جئـت ربّك يوم حشـر
فقـل يـا ربّ مزّقـني الوليـد

كما أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان كصاعقة عذاب على رؤوس أعداء الإسلام من الأمويين والعباسيين، ولهذا تعرَّض إلى سهامهم وسيوفهم ورماحهم، حتى قطعوا رأسه المبارك. كان الإمام الحسين عليه السلام مفتونًا بمعاني الآيات القرآنية المعنوية، حتى إنَّ عبد الرحمن السلمي عندما علَّم ولد الحسين عليه السلام سورة الحمد، فلما قرأها على أبيه أعطى عبد الرحمن ألف دينار وألف حلة وحشا فاه دُرًا، فقيل له في ذلك قال: وأين يقع هذا من عطائه[2]، يعني تعليمه.

فانظروا كيف أنَّ الإمام الحسين عليه السلام أجزى لتعليم سورة الحمد ومع هذا يقول أين يقع هذا من عطائه، لذا فإن جميع أفعاله نابعة من القرآن، وتظهر روائح القرآن المطهرة والمعطرة في جميع أموره، وفي بعض الأمور كان يستشهد بنفسه بآية من الآيات، أي إنَّ سلوكه وأفعاله كانت تجسيمًا وترسيمًا للآيات القرآنية المباركة، وبسلوكه كان يحيي الآيات القرآنية وينشرها في المجتمع ليشجع الأمة بالتوجه نحو القرآن.

تواضعه مع المؤمنين

كان الإمام الحسين عليه السلام يعامل المحرومين والمستضعفين بتواضع وودٍّ وصدق، أولئك الذين كانوا في رأي أهل الدنيا ومحبيها دون قيمة، كانوا يتمتعون باحترام الإمام الحسين عليه السلام، فإنه كان يتجنب التكبر والغرور بشدة، بلى فإنَّ خُلقه هذا مأخوذ من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[3].

عن مسعدة قال: مرَّ الحسين بن علي عليه السلام بمساكين قد بسطوا كساءً لهم وألقوا عليه كسرًا، فقالوا: هلم يا ابن رسول الله! فثنى وركه فأكل

١- سورة إبراهيم، الآية: ١٥.

٢- يُنظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، م ٥٨٨ هـ، المطبعة الحيدرية في النجف.

٣- سورة النحل، الآية ٢٣.

معهم ثم تلا ﴿إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾، ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني قالوا: نعم يا ابن رسول الله، فقاموا معه حتى أتوا منزله، فقال للجارية: أخرجي ما كنت تدخرين[٤]، فوهب ما ادُّخر لهم جميعًا ليبيّن لهم خلقه الكريم وسلوكه الرفيع المُنهلة من القرآن الكريم.

﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٥]، تُبين هذه الآية الكريمة ما ينبغي أن يكون سلوك المرء تجاه الآخرين، وإذا حيّاه أحدهم يحترم هذه التحية، فيردها بأفضل منها أو يرد مثلها، يروي أنس أنه دخلتْ على الحسين عليه السلام جارية فحيته بطاقة ريحان فقال لها أنت حرة لوجه الله تعالى، فقيل له تجيئك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها! قال: كذا أدبنا الله، وقرأ الآية السابقة وقال إن أحسن الردّ هو عتقها[٦].

فيا لهذا الفخر أن يقول إمام الشيعة بأنني وأهل بيتي أربّاء الله والقرآن الكريم ويباهي بذلك، ويا لجذابية حديث الحسين (كذا أدّبنا الله) وجمالية الآية ﴿وَإِذا حُيِّيتُمْ...﴾، فعلى حكّام العالم ومرشديه أن يتعلموا من القرآن وترجمانه الإمام الحسين عليه السلام هذا الأدب الإلهي ليردُّوا جميل الناس بالأجمل.

الإحسان إلى المذنب

إنَّ أحد أهم السلوكيات المجتمعية لحفظ العلاقات الاجتماعية هو الاحسان، فلو نظرنا إلى الإمام الحسين عليه السلام نرى كيف أحسن إلى مذنب بالاستناد إلى الآية الكريمة: ﴿... وَالكاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعافِينَ عَنِ النّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٧]، يُذكر أنه كان للإمام الحسين عليه السلام غلامًا جنى جناية توجّب العقاب عليه فأمر به أن يضرب، فقال يا مولاي ﴿وَالكاظِمِينَ الغَيْظَ﴾ قال خلوا عنه فقال يا مولاي ﴿وَالعافِينَ عَنِ النّاسِ﴾ قال قد عفوت عنك قال يا مولاي ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال أنت حرٌ لوجهِ اللهِ ولك ضعف ما كنت أعطيك.

٤- يُنظر: بحار الأنوار، ج٤١، ص١٨٩، (المترجم).
٥- سورة النساء، الآية: ٨٦.
٦- يُنظر: لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين، ص١٦ (المترجم).
٧- سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

المرأة
والوحي الإلهي في القرآن

يفتح القرآن الكريم للألباب أبواباً معرفية شتى، فكم من الأسرار والعلوم الكونية والخَلْقية توارد ذكرها في كتاب الله العزيز سواء بالتفصيل أو الإشارة، ومما جاء ذكره كشف بعض أسرار الملكوت، ومما أعطته أمر الوحي الإلهي، والذي يمثل أحد ركائز قضية الرسالات السماوية وما يتبعها من تفاصيل تتقدمها مسألة المُوحى إليه سواء كان نبياً أم رسولاً أم عبداً صالحاً قد ناله المولى بعظيم رحمته إذ شمل بعض عباده بهذا الشرف العظيم، وقد كان لبعض الصالحات نصيبٌ منه.

رغد عزيز

فقد قال تعالى في ذكر أم موسى كليم الله عليه السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]، غير أنَّ الإيحاء لها كان بكيفية تتناسب ومقامها والذي قطعاً مهما بلغ من الشرف لم يصل إلى حد درجة الأنبياء والرسل والمصطفين، لكنه في الوقت نفسه ليس ضمن دائرة الوحي التكويني والذي هو (وجود الغرائز والقابليات والشروط والقوانين التكوينية الخاصة التي أوجدها الخالق في أعماق جميع الكائنات في هذا العالم)[2]، فيكون الأمر بالنسبة لها كما هو الإيحاء للنحل ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[3]، والتي فُسّرت بأنه جل وعلا قد: (ألهمها وقذف في قلوبها)[4]، فإيمان هذه السيدة الذي أهَّلَها بأنْ تكون لهذا الدور وهذه المهمة في قضية نبي الله موسى عليه السلام هو الذي جعلها تنال شرف الإيحاء الإلهي بصورة تجلّت لسفراء السماء، فقد بيّن القرآن الكريم ثلاث صُوَر للوحي وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[5]، ومما جاء في توضيح هذه الصور الثلاث: (الصورة الأولى: إلقاء المعنى في قلب النبي أو نفثه في روعه بصورة يحسّ بأنه تلقّاه من الله تعالى. الصورة الثانية: تكليم النبي من وراء حجاب، كما نادى الله موسى من وراء الشجرة وسمع نداءه. الصورة الثالثة: هي التي متى أطلقت انصرفت إلى ما يفهمه المتدين عادة من لفظة الإيحاء حين يلقي ملك الوحي المرسل من الله إلى نبي من الأنبياء ما كُلِّف إلقاؤه إليه، سواء أنزل عليه في صورة رجل أم في صورته الملكية)[6]، ووفقاً للتفاسير التي تناولت تفسير الإيحاء الذي تلقته السيدة (أم موسى) والذي مَثّل في ظاهره ومضمونه الصورة الأولى من صور الوحي التي تقدم ذكرها، فالله جل وعلا ألقى في قلب (أم موسى) ونفث في روعها الحل الأمثل الذي تحمي من خِلاله ولدها الرضيع من بطش فرعون، فكان منها ما كان وهو ما لم يتوقعه أحد فكيف لأي كان يتوقع من (أم) أن تدفع بوليدها إلى حضن الأمواج بعد أن أودعته في صندوق خشبي!!، ويعود الشيخ المفيد (ره) الإيحاء لأم موسى كان في رؤيا رأتها في منامها حيث قال: (اتّفق أهل الإسلام على أنّ الوحي كان رؤيا أو كلاماً سمعته أمّ موسى في منامها على الاختصاص)[7]، وعلى كل حال فإن المبتغى أصل القضية . الإيحاء . وليس الآلية التي تمت فيها، فسواء كان نَفْث في القلب أو رؤيا في منام فإنهما حملا دلالة معينة جعلت السيدة (أم موسى) متيقنة بأنه من عند الله تعالى، وممن أوحى لها الله تعالى السيدة مريم عليها السلام غير أن الإيحاء لها كان بصورة مغايرة عما كان مع السيدة (أم موسى) ربما لكونها من النساء المصطفيات أو لأن قضيتها والموقف كان يتطلب صورة أخرى من صور الإيحاء تبعث في نفس السيدة مريم عليها السلام الطمأنينة والسكينة أكثر مما كانت عليه، إذ إن الإيحاء لها كان بصورة التمثّل والتجسيد حيث قال عز من قائل: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[8]، وقد قال الطبرسي (ره) في هذا التمثل: (ظاهر السياق أن فاعل " تمثل " ضمير عائد إلى الروح فالروح المرسل إليها هو المتمثل لها بشراً سوياً ومعنى تَمثّله لها بشراً ترائيه لها، وظهوره في حاستها في صورة البشر وهو في نفسه روح وليس ببشر، وإذ لم يكن بشراً وليس من الجن فقد كان ملكاً بمعنى الخلق الثالث الذي وصفه الله سبحانه في كتابه وسماه ملكاً، وقد ذكر سبحانه ملك الوحي في كلامه وسمّاه جبريل بقوله: "قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ" وسمّاه روحا في قوله: "قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ" وقوله:" نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ" وسماه رسولاً في قوله:" إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ "، فبهذا كله يتأيد أن الروح الذي أرسله الله إليها إنما هو جبريل)[9].

وهكذا يكشف لنا القرآن الكريم صورة جديدة من صور تكريم المرأة من قبل المولى عز وجل، إذ إنه خصها بخصائص جديدة، كذلك وضّحَتْ لنا آياته الكريمة أنه قد جعل لبعض الصالحات من النساء شرفاً إلهياً يبين مكانتهن عنده تعالى والتي جاءت بفضل إيمانه به وطاعتهن له واعتقادهن الصادق بتوحيده.

١- سورة القصص: الآية ٧.

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١٥، ص٥٨١.

٣- سورة النحل: الآية ٦٨.

٤- زبدة البيان في أحكام القرآن: المحقق الأردبيلي، ص٦٤١.

٥- سورة الشورى: الآية٥١.

٦- علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم، ص٢٥.

٧- تصحيح اعتقادات الإمامية: الشيخ المفيد، ص١٢٠.

٨- سورة مريم: الآية ١٧.

٩- تفسير الميزان: السيد الطباطبائي، ج١٤، ص٣٥.

أهم الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان

م.د خمائل سامي/ كلية التربية/ الجامعة المستنصرية/قسم علوم القران/ أصول الدين

منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة شَرَّع الإسلام حقوقاً للبشر على وفق مجموعة من القواعد التي تضمن وجوده الإنساني، وهي ضمن هبة الباري له عز وجل للعيش بكرامة في أرضه ومع أفراد المجتمع، فضلاً عن دينه وقوميته وضمن أهم الاعتبارات مثل النظر إلى مصالحه الضرورية والمصالح الحاجيّة والمصالح الكمالية والتحسينية[١]، فالمصالح الضرورية هي كل أمر لابد منه لقيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقد لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وهلاك وفي الآخرة على خزي وندامة وخسران[٢]، وتشمل المصالح الضرورية حماية خمس مصالح هي الدين والحياة والعقل والعِرض والمال، اما المصالح الحاجيّة فتعرف بأنها المصالح التي يؤدي تَخلّفها إلى الضيق والحرج في المجتمع، أي أنّ تخلّفها لا يؤثّر بضروريات الإنسان وإنما فقط تشكّل ضِيقاً وعُسْراً.

يتضح لنا من هذا أنَّ حقوق الإنسان كثيرة ومتنوعة، لذلك سنأتي إلى بيانها حسب تسلسل أهميتها ومنها:

أولاً: الحفاظ على الدين: الدين ضرورة للإنسان؛ لأنه لا نجاة للإنسان من عذاب الله وعقوبته إلا بالدين ولا فلاح له في الدنيا والآخرة إلا به، وبدون الدين يكون الإنسان سائمة وحيواناً بل أحطَّ؛ لأنَّ الحيوان والأنعام قد خلقها الله لمهمة وهي قائمة بها تَسْخيراً وتذليلاً من الله سبحانه وتعالى، وأما الإنسان فإنه خُلق ليعبد الله اختياراً وطواعيةً فمن عَبَد الله فقد عرف مهمّته وغايته، ومن أعرض عن ذكر ربه فقد أعرض عن حياة نفسه وغاية وجوده، وبذلك كان أحطَّ دركًا من الحيوان، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٣].

ثانياً: الحفاظ على النفس: جعل الله النفس الإنسانية مخلوقاً مُكرّماً عنده، شرع له التشريعات ما يحافظ على النفس الإنسانية حيث إن حماية الحياة تحتل المركز الثاني من الضروريات بعد حماية الدين وحرية العقيدة[٤]، وجعل العدوان على النفس الإنسانية بالقتل جريمة كبرى، بل لا أكبر منه بعد الشِرْك كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[٥]، كما فرضت الشريعة الإسلامية الغرّاء (القصاص) جزاءً لمن يعتدي على النفس البشرية، فقال سبحانه وتعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى﴾[٦]، ومن صور الاعتداء على الحياة الانتحار والإجهاض، وقد حرَّم الإسلام ذلك حفظًا لحق الحياة.

ثالثاً: الحفاظ على النسل: لا نعني بكلمة النسل هنا مجرد الولادة والإنسان؛ لأنَّ للإنسان ميزة خاصة عن سائر الحيوانات في النسل وهو صلات القربى التي تسمى في الشريعة بالأرحام، فالأبوة والبنوّة والأخوّة والأمومة والعمومة والخُؤولة.. هذه الصلات التي تقوم بين أبناء الأسرة الصغيرة والمجتمع، وقد شرّع الإسلام عقوبات زاجرة شديدة فجعل الرجْمَ عقوبة للزانية المحْصِن، والجلْدَ عقوبةً للزانية البِكْر كما جاء في مسند أحمد: (خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا، الثيب بالثيب جلد مئة ورجم بالحجارة، والبكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام)[٧].

رابعاً: الحفاظ على العِرْض: إن المقصود بالعِرْض هنا هو النفس المعنوية للشخص وهي سمعته، وكرامته وعِرْضه، فكما حافظت الشريعة على النفس الماديّة وَحرَّمت العدوان على الدم، فجعلت سُباب المسلم فسوقاً، وحرّمتِ الغيبة والنميمة، والغَمْز واللّمْز، والطعن في الأنساب، وتفاضُل الناس في اللون أو الموطن أو الجنس، وجعلت العقوبات على التعدي على هذه الأمور عقوبات تعزيرية متروكة لحكم الحاكم واجتهاده .

خامساً: الحفاظ على العقل: ونعني بالعقل هنا هذا السر الدخولي في الإنسان الذي يملك به التمييز ويفهم به الأشياء ولا شك أن مكانه القلب، وإنْ كان المخُّ هو مكان تَجَمُّع المعلومات واتصال كأفة الأحاسيس قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا

١- ينظر: مصطفى إبراهيم الزلمي،حقوق الإنسان وضماناتها في الإسلام، أربيل، ط٢،٢٠١١، ص١٣.

٢- ينظر: عبدالله بن يوسف الجديع، تيسير علم أصول الفقه، مؤسسة الريان للطباعة والنشر،٢٠٠٧، ط٥، لبنان، ص٣٠٣.

٣- سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

٤- ينظر: مصطفى إبراهيم الزلمي، حقوق الإنسان وضماناتها في الإسلام - أربيل، ط٢،٢٠١١م، ص١٧.

٥- سورة الأنعام : آية ١٥١.

٦- سورة الأعراف: ١٧٩.

٧- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ٣١٨/٥.

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٨]، وجاءت الشريعة الحكيمة بتحريم شُرْبِ الخمر لما يؤدي إليه شُرْبها من سَتْر العقل وتغطيته، فَشَرّعتْ لذلك عقوبة رادعة وهي الحدّ ثمانين جلدة، وَحرّمتْ كل سبيل يُوصِل بها إلى الخمر فقد حرم رسول الله ﷺ كل شراب مسكر ولعن الخمر وغارسها وحارسها وحاملها والمحمولة إليه وبايعها ومشتريها وآكل ثمنها وعاصرها وساقيها وشاربها)[٩] وهذا يدخل فيه كل ما يُخدر الجسم وينيم العقل والإحساس، وكل ذلك ولا شك للحفاظ على العقل الذي هو ضرورة من ضرورات الحياة.

سادساً: الحفاظ على المال: شرّع الله سبحانه وتعالى ما يَكْفل للحفاظ على المال لأنه قوام الحياة ولا قيام لإنسان ولا بقاء له إلا بالمال، فهو الطعام والشراب والسكن والعُدة والعتاد، وقد وصفه الله بذلك فقال: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾[١٠]، فأباح الله للمسلمين أنْ يُنمّوا أموالهم بالزراعة، والصناعة، والرعي، والتجارة، والإجارة، والمشاركة والمقارضة، ووضع التشريعات التي تكفل بتنظيم ذلك حتى لا يطغى شريك على شريك، ولا عامل على صاحب عمل، شرّعَ للحفاظ على المال، فمن ذلك حدّ السرقة ليكون هذا رادعاً عن العدوان على المال الخاصّ أو العام، ولا يخفى ما للسرقة من هدم للثروات.

٨- سورة الأعراف، الآية:١٧٩.

٩- من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٤ / ٥٧.

١٠- سورة النساء، الآية:٥.

سابعاً: الحق في الحرية: أكد الإسلام على حرية الإنسان وجعله حقاً من الحقوق الطبيعية اللصيقة به، فالشريعة الإسلامية جاءت من أجل حماية حرية الإنسان وتكريمه، فلا قيمة لحياة الإنسان بدون العيش بحرية، وتشمل هذه الحرية حرية الاعتقاد والتديّن، كما تشمل الحرية حق التعبير عن الرأي والاجتهاد في حدود ما أباحه الله تعالى، وحقّ الشورى فيما لا نص عليه ، وقد سبق الإسلام إلى كفالة ما سُمّي بالحرية المدنية التي تشمل حرية الذات من الرِّق باعتبار الناس يولدون أحرارًا، وحرية التنقل، واللجوء، والهجرة، وحرية المسكن، والمراسلات، وعدم جواز التجسس عليهما.

ثامناً: حق التملك والعمل والتكافل الاجتماعي والرعاية الصحية: فللإنسان في الإسلام الحق في التملك في حدود ما أباحه الله تعالى، وله الحق في توفير فرص العمل الشريف الذي يكسب رزقه من خلاله، وإذا عجز عن تحصيل ذلك فيجب على المجتمع أنْ يتكفّل بسدّ حاجته ورعاية شؤونه حتى يستطيع أن يعيش بكرامة ومن هذه الحقوق الرفق بالعامل، عدم تحميله أكثر من طاقته، تحديد الأجر وعدالته، ومن حق الإنسان في الإسلام أن يعالج عند المرض وأنْ يحصل على الرعاية الصحية الكافية، ويدخل ذلك في إطار الضمان الاجتماعي والتكافل بين أفراد المجتمع.

تاسعاً: حق العدل والمساواة بين البشر: والمقصود هنا المساواة في أصل الخِلْقة، والمساواة أمام تكاليف الشرع وأحكام القضاء، وقال ﷺ: (يا أيها الناس ألا إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى).

عاشرًا: الحقوق الاجتماعية والثقافية: اعتنى الإسلام ببناء الأسرة المسلمة بناءً قوياً متماسكاً، ومن هذه الحقوق حق الزواج، وحق الزوجين، وحق الآباء، وحق الأبناء، وتعد الأسرة الخلية الأولى في المجتمع الإنساني، وهي نواته وعماده، ويتمّ تكوين الأسرة في ظل الشريعة الإسلامية حَصْرًا بالزواج الذي يتحقّق منه الإنجاب، ومن ثم تحريم العلاقات غير الشرعية جميعها، وفي الإسلام تتم رعاية حقوق الزوج على زوجته، والزوجة على زوجها، وهذا يدخل ضمن حقوق الأسرة، فللزوجة على زوجها حق النفقة، وحسن العشرة، والعفاف، ورعاية الدين، وحسن التوجيه، وللزوج على زوجته حق الطاعة في غير معصية الله، ورعايته، وأولاده منها، وحق القوامة، وحق الإشباع العاطفي والجنسي.

حادي عشر: حق التقاضي بمعنى (اللجوء إلى القضاء الشرعي): وهذا الحق ضمانة لحفظ حقوق الإنسان في نفسه وعِرْضه وماله، ولا يحق لأحد أنْ يمنع إنسانًا من رفع مظلمة إلى القضاء فحق التقاضي مكفول للناس جميعًا[١١].

ثاني عشر: حق التربية والتعليم: وهو أحد أهم الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان، وقال ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[١٢] ولا شك إنّ رفع الجهل عن الإنسان وتربيته بما ينمّي الفطرة السوية التي خلقه الله عليها حق ثابت للإنسان على مجتمعه[١٣].

من خلال ما سبق نستطيع إن تأملنا بما تقدم من آيات الحقوق وغيرها، نجد أنها تجمع بين مراعاة "حقوق الإنسان" وبين حِفْظ هذه الضرورات، فَشرّعتِ العقوبات والحدود لحفظ أمن الفرد والمجتمع، ومنع الاعتداء بين أفراده، وأنَّ الحقوق في الشريعة الإسلامية أوسع نطاقاً من ما تعرفه القوانين الوضعية، كالحق الديني وحقوق الله تعالى، والجزاء الأخروي المترتب على كل اعتداء على حق من حقوق الله أو العباد؛ لأنها تخاطب الناس على اختلاف ألوانهم وأماكنهم وأجناسهم، وتنظيم العلاقات الدنيوية والأخروية والدينية والمدنية، واستقلالية الشريعة في تنظيمها للحقوق؛ لأنها قائمة على مبدأ الحاكمية لله وحده في جميع الأمور، بخلاف القوانين الوضعية التي تتأثر بالفلسفات والشرائع الأخرى في تنظيم الحقوق.

١١- ينظر: راوية الظهار، حقوق الإنسان في الإسلام، ص(٢٩٦)، وما بعدها، ومحمد الزحيلي، حقوق الإنسان في الإسلام ، دار القلم - دمشق: ص(٣٣٩) وما بعدها.

١٢- الوافي،الفيض الكاشاني، ١/١٢٥.

١٣- ينظر : وسن حميد رشيد، بحث الضمانات الدستورية للحقوق والحريات في الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥، كلية المستقبل الجامعة/ قسم القانون مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، مج ٢١ العدد٣ للسنة ٢٠١٣، والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية، عبد الرحمن عبد الخالق، الكويت ١٩٨٤م، وعماد حسن أبو العينين حقوق الإنسان في الإسلام، موقع صيد الفوائد: عدة صفحات.

كلمة واحدة وويلات جمّة

زينب حسين

عمّ السكون وهدأت الأصوات، والجفون المؤرَّقة بدأ يغريها الإغفاء ويجبرها على الإغلاق ليطوي صفحة ذلك النهار الطويل، ويمنح لذلك الجسد المنهك جرعة مهدئة يقبع بعدها في مهده، طارحاً همومه ومتاعبه جانباً، وملتحفاً بالأمن والسكينة حتى طلوع فجر يوم جديد.

غرقت في نوم عميق وبدأت الأحلام تتهافت وتتراءى لي حتى فزعت على صراخ عال، وضجة كبيرة، بدّدت سكون وهدوء الليل، وحوّلته إلى نهار، بعد أن توهجت كل الأضواء في البيت، وهرعت لتقصّي مصدرها.

توقفت قدماي عن الحراك من شدة الهلع الذي انتابني، وبقيت متسمّرةً في مكاني كالخشبة اليابسة، الفاقدة للحياة والأمل معاً، ولم أستطع فعل أي شيء سوى إنني أجهشت بالبكاء بعد أن رأيته يصرخ ويجلجل نازلاً من الدرْج بسرعة: (أماه: لا أريدها، سئمت منها، إنها تؤذيني) فتوضح لي السبب وراء كل هذه الضجة، مما أثار مخيلتي بالذكريات والحوادث السابقة التي انصبت عليّ كالزيت الذي يزيد من توهج النار، التي أُضرمت في داخلي خلال هذه السنوات المنصرمة.

وسرعان ما انفجر البركان في داخلي وأجريت حممه المستعرة على لساني، عندما حاول أن يكمل حديثه، واضعةً يدي على فمه: كفى لا تنطق تلك الكلمة التي تجر وراءها الويلات، لقد لوّعْتَني منذ ولادتك ولحد هذا الوقت الذي أصبحت فيه شاباً، واشتد عودك بغضبك وعنادك وبمزاجك المتقلّب في كل شيء، أتذكر عندما كنت تصرّ على تناول نوع من الطعام، وما إن تتذوقه وتتحسس طعمه حتى ترميه وترفض تناوله؟، وكذلك الألعاب تجبرنا بصراخك وبكائك على شرائها بأبهظ الأثمان لتكسرها وتحطمها خلال ثوانٍ، وتلقي بها على الأرض ممتنعاً عن اللعب بها، وما أكثر حيرتي ولوعتي عندما تنتقي أرقى الملابس وأغلاها لتبقى حبيسة الأدراج والخزانات بحجة أنها لم تعد تعجبك، ولا تناسب ذوقك ولا تود ارتدائها، والكثير من هذه التصرفات اللا معقولة التي لا تُعد ولا تُحصى، وكنت أتصبّر وأقول في نفسي: سيكبر حتماً وسيعي حجم أخطائه، وسيسعى إلى إصلاحها، وسيغيّر من طبعه، وسيستقر مزاجه، وسيرسو بسفينته المتغيرة المسار حتماً إلى بَرّ الأمان.

لكن هيهات لك ذلك فلقد تعديت بعبثك إلى التلاعب بمشاعر الآخرين، والاستهزاء بشخصياتهم وتحطيم مستقبلهم، فهذه الزوجة الثالثة التي لم يستقر رأيك عليها وتصرخ بأعلى صوتك منادياً بطلاقها، كما طلقت الزوجتين اللتين قبلها لأسباب تافهة، وبمدة قياسية لا تتعدى بضعة شهور، فهل يُعقل هذا؟ ألم تؤمن بعدُ بأنَّ الطلاق أبغض الحلال؟

أستحلفك بالله العظيم ألم تختارهنّ بنفسك، ولم يجبرك أحد على الاقتران بهن؟ فلماذا كل هذا العناد والنّزق والمزاجية المتقلبة؟ لابد أن تقف عند حدك، وتتيقن بأن الزواج أمر مصيري، ورباط مقدس، وعلاقة وثيقة، لا يمكن الاستخفاف والتلاعب به، وحلّه ببساطة وسهولة بمجرد اختلاف رأي أو مناقشة أو حتى بمشاجرة، ألم تسمع بقوله تعالى: (وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[1]؛ لأنّ الطلاق ليس أول الحلول ولا أسهلها، بل هو آخر الحلول وأصعبها، ويحتاج إلى تفكير وتأنٍ وعزم، ولا تنسى بأن الزوجة إنسانة لها مشاعر وأحاسيس، وكيان وأهل وعشيرة، يطالبون بحقها، وليست لعبة تكسرها وتلقيها متى شئت وأنى شئت، أو أكلة لم يعجبك طعمها فترميها في القمامة، أو قميص تبدله كل يوم بآخر جديد وأنيق، فأين أنت من قول الله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)[2].

فرد عليّ محاولاً تهدءتي: يا أماه اهدئي، أنا آسف، ولكن الأمر ليس كما تعتقدين، فأنت لم تدعيني أكمل حديثي، وقمتِ بتوبيخي وتذكيري بأخطائي التي تبت منها حقاً، واستغفرت ربي الذي قال في محكم كتابه: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)[3]؛ وكنت قد ظلمت نفسي بعد أن دفعت الثمن غالياً بفراق أولادي، وأُفلست وأُفرغ جيبي على نفقات زوجتاي السابقتين ولم يبقَ لي ولزوجتي الحالية إلا النزر القليل من راتبي، وسأرمى في الشارع هذه المرة حتماً إذا نويت طلاقها، لقد ناديتك ولم أتصور بأنكِ غارقة في النوم، لأخبركِ عن الوسادة القديمة التي آذتني ليلة البارحة وأردت استبدالها بأخرى، والشيء الذي آلمني أكثر هو ذلك الكابوس المزعج، فقد رأيت في المنام زوجتي الأولى ومعها ولدي وهما يبكيان وهي تصرخ عليه بصوت عالٍ، وقد ظهرت عليهما آثار البؤس والشقاء، وهذا ما يزيدني أرقاً وندماً وانكساراً.

١- سورة البقرة، الآية: ٢٢٧.

٢- سورة النساء، الآية: ١٩.

٣- سورة-طه، الآية: ٨٢.

التفويض للّه
ملاذ المؤمنين

ميادة قهرمان

حضور القلب حين مناجاة الله عز وجل عبر اليقين به وتفويض الأمر إليه، إمارة المؤمن الطامح لعنايته وألطافه؛ لأنه جل وعلا هو الحسيب صاحب القدرة الفعلية المطلقة على الإغاثة والقادر على تفريج هموم عباده الدنيوية مهما كانت عسيرة، وإنّ توكيله للأحوال هي مَدعاة لمرضاته وحبه كما جاء في الآية الكريمة من قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

ومن صُوَر تمجيد القرآن الكريم للفئة المقرة بعظمة الخالق والثابتة في المواقف نتيجة تفويض أمرها له عز وجل ما تم ذكره في الآية الكريمة من قوله عز وجل: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾[2]، وجاء في تفسير الأمثل عن معنى هذه الآية: (هكذا كشف مؤمن آل فرعون ما كان يخفي من إيمانه، وبذلك فقد انكشف هنا خطّه الإيماني التوحيدي، وانفصل علناً عن خط الشرك الملوث الذي يصبغ بآثامه وأوحاله الحكّام الفراعنة ومن يركنوا لهم، لقد رفض الرجل دعوتهم ووقف لوحده إزاء باطلهم وانحرافهم. في آخر كلامه وبتهديد ذي مغزى يقوله لهم: (فستذكرون ما أقول لكم)، إنّ ما قلته لكم ستذكرونه في الدنيا والآخرة، وستعلمون صدقي عندما تصيبكم المصائب وينزل بساحتكم الغضب الإلهي، لكن سيكون ذلك كلّه بعد فوات الأوان، فإن كان في الآخرة فلا طريق للرجوع، وإن كان في الدنيا فهو لا يتمّ إلاّ حين يحلّ بكم العذاب الإلهي، وعندها ستغلق جميع أبواب التوبة)[3]، وعبارة التكليف صريحة في قوله: (أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ)، وهي ضمن أركان الإيمان التي يرتكز عليها المسلم الواعي (التَوَكّل- التَفويض– الرِضا- والتَسليمَ) والتي بيّنها الإمام علي عليه السلام في قوله: (الإيمان أربعة أركان: التَوَكّل على الله، وتَفْويض الأمر إلى الله عز وجل والرِّضا بقضاء الله، والتّسليمَ لأمر الله)، ومن الآيات الكريمة في مضمار الاعتماد على الله عز وجل ما جاء في نص الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ* فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[4]، حيث جاء في تفسيرها: (يبين القرآن الكريم إحدى العلائم الحية للاستقامة والثبات... ثم بعد ذكر هذه الاستقامة الواضحة وهذا الإيمان البارز يذكر القرآن الكريم نتيجة عملهم إذ يقول: فانقلبوا بنعمة من الله وفضل وأيّة نعمة وأيّ فضل أعظم وأعلى من أن ينهزم الأعداء الخطرون أمامهم من دون أي صِدام أو لقاء ويعود هؤلاء المقاتلون إلى المدينة سالمين، يبقى أن نعرف أنّ الفرق بين النعمة والفضل يمكن أن يكون بأن النعمة هي الأجر بقدر الاستحقاق، والفضل هو النفع الزائد على قدر الاستحقاق، وتأكيداً لهذا الأمر يقول القرآن: لم يمسسهم سوء مضافا إلى أنهم اتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم أنه فضل عظيم ينتظر المؤمنين الحقيقيين والمجاهدين الصادقين)[5]، بيّن أئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام في دلالات التوكيل الإلهي التي بينتها الآية السابقة ما اظهره الإمام الصادق عليه السلام في قوله: (عجبت لمن فزع من أربع كيف لا يفزع إلى أربع: عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله: حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " فاني سمعت الله عز وجل يقول بعقبها: ﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[6]، لذا فإن عِزّة النفس لدى المؤمنين تقترن بالاعتماد على الله عز وجل لأنه موضع الكفاية والعناية الشمولية التي تغني المسلم عن أي عناية دنيوية مهما عظم شأنها كما جاء في النص الصريح من قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[7]، وهذه الإحاطة دون أدنى شك هي قطب الأمان النفسي الذي يرتع في ظله الفرد المؤمن في محط الدارين.

١- سورة آل عمران : الآية ١٥٩.
٢- سورة غافر، الآيتان ٤٤- ٤٥.
٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج١٥، ص ٢٧٠.
٤- سورة آل عمران : الآيتان ١٧٣-١٧٤.
٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٣، ص٨.
٦- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٩٠، ص١٨٤.
٧- سورة الزمر، الآية ٣٦.

نبي الله يوسف عليه السلام

الشيخ طه العبيدي

يوسف هو نبي الله بن يعقوب النبي بن إسحاق النبي بن إبراهيم خليل الرحمن (صلوات الله عليهم وعلى نبينا وآله أجمعين)، وكان يوسف من أحسن الناس وجهاً، حسن جميل، قال النبي ﷺ: أعطى يوسف شطر الحسن والنصف الآخر لسائر الناس، وقال كعب: كان يوسف حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العين، مستوى الخلق، أبيض اللون، غليظ الساقين والعضدين، خميص البطن، صغير السرة، وكان إذا تبسم رأيت النور في ضواحكه، وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع النور يلتهب عن ثناياه، ولا يستطيع أحد وصفه، وكان حسنه كضوء النهار عن الليل، وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله وصوره ونفخ فيه من روحه[1]، ويقال: إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة[2]، ما رآه أحدًا إلا وقع في حبه، وهذا كان سبباً ببلائه.

ابتلاء نبي الله يوسف عليه السلام

أول البلاء أنَّ عمته – سارة بنت إسحاق ابن إبراهيم الخليل عليه السلام[3]- كانت تحبه حباً شديداً وتهتم به وترعاه، وقد طلبه يعقوب عليه السلام من أخته وأن ترده إليه، فبعثت إليه أن دعه عندي الليلة لأشمه ثم أرسله إليك غدوة، فلما أصبحت أخذت المنطقة فربطتها في حقوه وألبسته قميصًا وبعثت به إليه، وقالت: سرقت المنطقة فوجدت عليه، وكان إذا سرق أحد في ذلك الزمان دفع إلى صاحب السرقة فأخذته فكان عندها. وقيل: ورثت عمّته من أبيها منطقة إبراهيم، وكانت تحضن يوسف وتحبّه حبًّا شديدًا، فلمّا ترعرع أراد يعقوب انتزاعه منها، فشدّت المنطقة[4] على وسطه ثمّ أظهرت ضياعها، فتفحّص عنها فوجدت محزومة عليه، فصارت أحقّ به في شريعتهم[5]. ثم حب أبيه يعقوب عليه السلام جعله موضع حسد إخوته مما جعلهم يفكرون في قتله أو إبعاده عن أبيه، وبالتالي ألقوه في الجب وجاؤوا بحكاية الذئب والدم الكذب، وبسبب هذا الحب ابتلي بالغربة والحرمان. وبسبب حب من اشتراه وقع في التعرض للأذى والسجن والغربة مدة ليست بالقصيرة. عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال السجان ليوسف: إني لأحبك، فقال يوسف: ما أصابني إلا من الحب إن كان خالتي (عمتي)[6] أحبتني سرقتني، وإن كان أبي أحبني فحسدوني إخوتي، وإن كانت امرأة العزيز أحبتني فحبستني، قال: وشكا يوسف في السجن إلى الله فقال: يا رب بماذا استحققت السجن؟ فأوحى الله إليه: أنت اخترته حين قلت: ﴿قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[7] هلا قلت: العافية أحب إلي مما يدعونني إليه[8]؟!.

الشيطان ينزغ بين يوسف وإخوته

تحدّث القرآن الكريم عن الأحوال والظروف التي مر بها نبي الله يوسف عليه السلام وقد فصّلت قصته في سورة كاملة سميت باسمه (سورة يوسف)، وكانت قد تحدثت بعض آياتها أن الذي حصل من إخوته كان من نزغ الشيطان لإفساد محبة نبي الله يعقوب لولده نبي الله ليوسف عليه السلام وطلب مزيد الاهتمام بهم، ثم طغى حسدهم حتى وصل بهم الأمر أن يتفقوا على قتله، وفعلاً همّوا بقتله لو لا تدخّل أحد إخوته الذي كان يرفض فكرتهم في قتله وأشار إليهم أن يلقوه في الجب. ثم أن يوسف عليه السلام قد بيّن أن الذي أحدث شرخًا بينه وبين إخوته هو الشيطان ودفعهم أن يقدموا على فعلتهم به ولم يرعوا صغر السن، ويتمه من جهة الأم، وأواصر الدين والقرابة والإخوة، كما جاء في قوله تعالى حكاية عن حال يوسف وإخوته: ﴿... مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[9]. وكما هو معروف إن الشيطان قد أغوى أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام وأخرجهما من الجنة، وإنه قادر على إغواء ولده إلا عباد الله المؤمنين كما قال تعالى: ﴿يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[10]، وأرشدنا تعالى من نزغ الشيطان والوقوع في شباكه بقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[11].

علم يعقوب عليه السلام بحياة يوسف عليه السلام

تحدّث القرآن الكريم في آياته الشريفة عن فراق نبي الله يوسف لأهله وهو صغير وطالت غيبته عن أهله جعل إخوته يعتقدون أنهم لم يلتقوا به في قادم الأيام لأنهم باعوه إلى ناس متجولة في البلدان وهم الذين استخرجوه من الجب وحملوه كأنه بضاعة تباع في البلدان، وقد خفي خبره ولم يعثر عليه أحد من قومه أو يعرف له طريقًا أو جهة معينة، وقد يكون إنّ مدة غيابه عن إخوته وطولها جعلتهم يظنون أنه هلك. إلا أن يعقوب النبي عليه السلام كان يرجو أنْ يرى ولده يوسف عليه السلام وعاش في حزن شديد منتظراً لقاء ولده المفقود حتى فقد بصره، ولكنه لم ييئس من روح الله تعالى. وكان نبي الله يعقوب عليه السلام يعرف أن الذئب لم يأكل ولده يوسف، فقد ورد في الأثر عن حنان بن سدير عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن قول يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[12]، أكان يعلم أنه حي وقد فارقه منذ عشرين سنة قال: نعم، قال: قلت: كيف علم قال: إنه دعا في السحر وسأل الله عز وجل أن يهبط عليه ملك الموت فهبط عليه بريال وهو ملك الموت، فقال له بريال: ما حاجتك يا يعقوب قال له: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرقة قال: بل أقبضها متفرقة روحًا روحًا، قال: فأخبرني هل مر بك روح يوسف فيما مر بك فقال: لا، فعلم يعقوب أنه حي فعند ذلك قال لولده: ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[13]. وذلك عندما أصابهم القحط والجدب وأرسل أولاده إلى مصر لأجل الاسترزاق وطلب منهم أن يتفقدوا أخوهم يوسف بعد أن أخذ العزيز (يوسف) أخاهم الذي سرق في حساباتهم، لعلهم يجدونه[14].

١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٢ هامش ص٢٢١.

٢- تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج٥ص٣٧٨.

٣- ينظر تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، ج٦ص٣٤٧.

٤- المنطقة: حزام يلبسه الرجال يشد في الوسط./ معجم الفاظ الفقه الجعفري، الدكتور احمد فتح الله، ص٤١١.

٥- ينظر زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، ج٣ص٣٩٨.

٦- لعلها عمته، لان الذي أحبته عمته سارة بنت إسحاق.

٧- سورة يوسف، الآية٣٣.

٨- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٢ص٢٤٧.

٩- سورة يوسف: الآية ١٠٠.

١٠- سورة الأعراف: الآية ٢٧.

١١- سورة الأعراف: الآية ٢٠٠.

١٢- سورة يوسف: الآية ٨٧.

١٣- سورة يوسف: الآية٨٧.

١٤- الوافي، الفيض الكاشاني، ج٢٦ص٤٣٦.

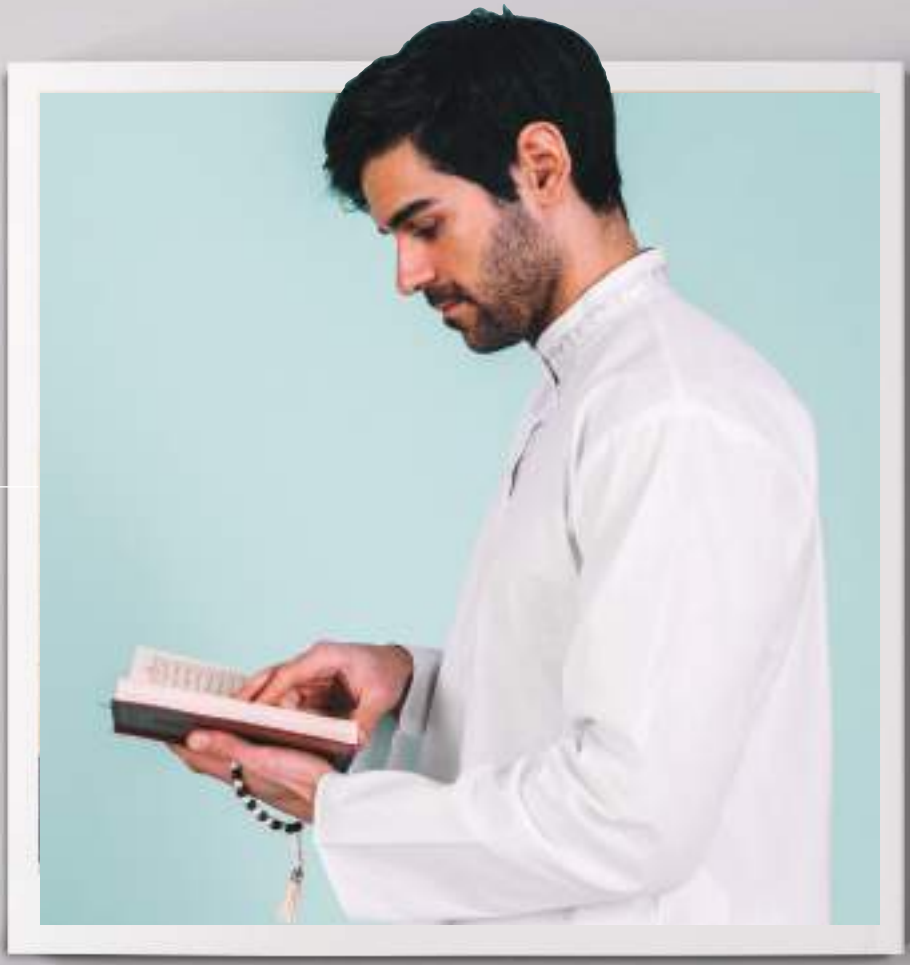

علم التجويد
ظهوره وتدوينه

لم يُعرف مصطلح (التجويد) بمعنى العلم الذي يعني بدراسة مخارج الحروف وصفاتها وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق إلا في حدود القرن الرابع الهجري، كذلك لم يُعرف كتاب أُلّف في هذا العلم قبل ذلك القرن ومعنى هذا علم التجويد - تأخّر في الظهور- علماً مستقلاً بالنسبة إلى كثير من علوم القرآن وعلوم اللغة العربية أكثر من قرنين من الزمن[1].

عبارات في معنى التجويد

كانت هناك كلمات تستخدم في عصر النبي ﷺ في معنى كلمة التجويد مثل الترتيل، والتحسين، والتزيين، والتحبير، وهي تستخدم في وصف القراءة حينما تكون مستوفية لصفات النطق العربي الفصيح، جامعة إلى ذلك حسن الصوت والعناية بالأداء ولم يرد من هذه الكلمات في القرآن الكريم سوى كلمة الترتيل[2].

قال أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل (ورتل القرآن ترتيلاً): (بَيّنه تبياناً ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن أقرعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم أحدكم آخِر السورة)[3].

ولا يعني ذلك أن مفردات مادة (ج و د) لم تكن مُستَخدَمَة في اللغة العربية، فنجد عدداً من الكلمات المشتقّة من تلك المادة مثل: الجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جُودة

١- الدراسات الصوتية- د. غانم قدوري الحمد.

٢- سورة المزمل، الآية ٤.

٣- مجمع البيان.

وجَوْدة، أي صار جيداً، وأجاد أتى بالجيد من القول والفعل. ورجل جواد (سخي)، وجاد الفرس فهو جواد... الخ[٤].

ظهور كلمة التجويد اصطلاحاً

إنَّ الوقت الذي ظهرت فيه كلمة التجويد بمعناها الاصطلاحي هو الوقت الذي ظهر أول مُصَنَّف مستقل في علم التجويد، فقد قال ابن الجَزَري، وهو يترجم لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني البغدادي المتوفي سنة ٣٢٥ هجرية: (هو أول من صنّف في التجويد فيما أعلم، وقصيدته الرائية مشهورة، وشرحها الحافظ أبو عمرو...)[٥]. والمصنف الذي أشار إليه ابن الجزري هنا على أنه أول مصنف في التجويد هو قصيدة أبي مزاحم الخاقاني الرائية المشهورة بالقصيدة الخاقانية، التي يقول في مطلعها:

أقـول مقـالاً معجبـاً لأولي الحجـر
ولا فخـر إنّ الفخـر يدعـو إلى الكـبر

وعدد أبياتها واحد وخمسون بيتاً، ذكر فيها أبو مزاحم بعض الموضوعات التي صارت فيما بعد جزءاً من علم التجويد، وكان لهذه القصيدة أثر واضح في جهود اللاحقين في علم التجويد فهم بين مُقتبِس منها مستشهد بأبياتها، وبين معارض لها أو شارح موضّح لمعانيها.

ومع إنَّ القصيدة الخاقانية هي أول مُصَنّف مستقلّ ظهر في علم التجويد، إلا أنَّ أبا مزاحم لم يستخدم فيها كلمة (التجويد) ولا أيّاً من الألفاظ الأُخرى التي تشاركها في المادة اللغوية، واستخدم مكانها كلمة (الحسن) وما أشتق من مادتها فقد قال في صدر البيت الخامس:

أيـا قـارئ القـرآن أحسِـنْ أداءَهُ

٤- ابن منظور، لسان العرب ١١٠/٤ جود.
٥- غاية النهاية ٣٢١/٢.

وقال في صدر البيت السابع عشر:

فقـد قلـت في حسـن الأداء قصيـدةً

وأول من استخدم مصطلح (التجويد) بعد ابن مجاهد هو أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي المتوفي في حدود ٤١٠هـ[٦].

وشاع استخدام مصطلح (التجويد) بعد عصر السعيدي على نطاق واسع.

تعاظم مؤلفات علم التجويد

إنَّ أعظم مؤلفات علم التجويد قد ظهرت في القرن الخامس الهجري فبعد كتاب (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) للسعيدي الذي ظهر في نهاية القرن الرابع أو السنين الأولى من القرن الخامس الهجري يظهر في الأندلس كتابان كبيران في علم التجويد هما (الرعاية) لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) (والتحديد) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ). ومهما يكن من أمر فإنَّ نشأة علم التجويد ترتبط بقصيدة أبي مزاحم الخاقاني، وإنَّ مؤلفاته الأولى تتمثل بكتاب (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) للسعيدي، وكتاب (الرعاية) لمكي وكتاب (التحديد) للداني، ثم تتوالى المؤلفات بعد ذلك متواصلة حتى عصرنا الحاضر.

استخلاص المادة الصوتية للتجويد

وقد قام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وعلماء القرّاء وصاغوا منها هذا العلم الجديد الذي اختاروا له اسم (علم التجويد) وواصلوا أبحاثهم الصوتية مستندين إلى تلك المادة، وأضافوا إليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية.

ولا يعني تأخّر ظهور التأليف في علم التجويد أنَّ القرّاء كانوا ينطقون القرآن قبل ذلك على غير أصل واضح كما لا يعني أنَّ علماء التجويد اختلقوا هذه الأصول أو ابتدعوها، فالواقع أنَّ قرّاء القرآن يعتنون غاية الاعتناء بتجويد الألفاظ وإعطاء الحروف حقها منذ عصر الرسالة حتى عصر ظهور المؤلفات في علم التجويد، وكانوا يستندون في ذلك إلى الرواية الأكيدة والأصول المرعية عند العرب في نطق لغتهم ذكر ابن الجزري[٧]: إنَّ علياً عليه السلام سئل عن معنى الآية (ورتل القرآن ترتيلا) فقال: (الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف) وروى السمرقندي[٨]: (أنَّ علياً عليه السلام روى عن النبي صلى الله عليه وآله في معنى الآية قوله: (الترتيل حفظ الوقوف وبيان الحروف) فأصول علم التجويد وقواعده كانت موجودة في الكلام العربي يحرص عليها القرّاء ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقرائهم، وإنْ لم تكن مُدَوّنة، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف التي نحاها أبو الأسود الدؤلي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام.

تحصيل التجويد بالمشافهة

وأوضح محمد المرعشي الكيفية التي كانت يُقرأ بها القرآن في المرحلة التي سبقت ظهور كتب علم التجويد حيث يقول (وتجويد القرآن قد يحصله الطالب بمشافهة الشيخ المجود بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله، ولكن بذلك العلم يسهل الأخذ بالمشافهة، وتزيد المهارة، ويصان به المؤخوذ عن طربان الشك والتحريف)[٩] فكانت أجيال المسلمين تُجَوّد القرآن بالمشافهة منذ عصر نزول القرآن وحتى ظهرت المؤلفات التي تعنى بالتجويد، وظلت المشافهة والتلقي عن الشيخ المتقن هي الأساس في قراءة القرآن وإتقان اللفظ في حروفه.

٦- ابن الجزري: غاية النهاية ٥٢٩/١.
٧- التمهيد: ص٣.
٨- روح المريد: ١٣٧.
٩- جهد المقل: ص٢.

افتتاح مركز الجوادين للوثائق الكاظمية

ضمن الاستعدادات لتهيئة مكتبة العتبة الكاظمية المقدسة تم افتتاح مركز الجوادين للوثائق الكاظمية ضمنها، ولهذا تهيب الأمانة العامة للعتبة المقدسة بالمهتمين بالشأن الكاظمي والأسر الكاظمية الكريمة التعاون معها بتقديم ما لديهم من وثائق (أصلاً أو صورة) خاصة بالعتبة المقدسة والمدينة المقدسة وأعلامها في مختلف مجالات المعرفة، وتشمل تلك الوثائق مثلاً الكتب والمخطوطات والصور والرسائل والعقود والأختام والطوابع والخرائط والأفلام والتسجيلات الصوتية (بكرة، كاسيت، قرص مدمج) و ...الخ، مع الشكر والامتنان سلفاً.

يكون التواصل من خلال:

Info@aljawadain.org

www.facebook.com/Aljawadain.iq

أو المراسلة عبر تطبيقات (تليغرام أو واتساب أو فايبر)
على الرقم الآتي:

+٩٦٤٧٧٣٥٧٨٥٩٧٠